صاحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

MADHAT AKKACHE

الثقافة

مجلة ثقافية أدبية تصدر في دمشق

دمشق ـ ص.ب (٢٥٧٠) هاتف ٢٢٩٩٨٤

تموز ١٩٧٦

ملحق العدد ٣٠

• • •

الادب في الاقطار العربية

بقلم :

عندما أخذنا أنفسنا بظهور هذه المجلة كمشروع ضخم بين مشاريع أمتنا الكثيرة ، كنا ندرك كل الادراك أن لهـا مخططها الخاص الذى لا يزحم أعمال بقية المجلات ، هـذا المخطط الذى يحرص على أن يقدم دائما أدبا عربيا وفكراً عربيا يدعمان حياتنا في تطورها الطامح الى الكمال .

ولما كانت المجلة تشعر بمسؤولية خاصة تجاه مساهمتها الاساسية في خلق الفكر العربي ، لذلك كان طبيعيا بنا اعتناؤنا بالدراسات القومية التي تتناول أسس حياتنا سواء الماضية منها أو الحاضرة ، وطبيعي أن نسعى جاهدين الى المحافظة على الصلة التي يجب أن تنمو وتتأصل بين أدبائنا على اختلاف أقطارهم ، وحيال ذلك ، لم نجد وسيلة أقرب الى تحقيق هذه الصلة من اصدار اعداد خاصة يسهم أدباء كل قطر عربي في واحد منها .

واذا كنا قد خطونا في العام الحالي الخطوة الاولى من اصدار عدد حررته نخبة من أدباء المملكة الاردنية الهاشمية فلنا في هذا العام والاعوام التي تليه كبير الامل بتحقيق هـذه الامنية التي لا يمكن تحقيقها الا بمؤازرة كل أديب عربي يجد فيها الغاية المثلى في تحقيق لقاء الاخوة وجمع شمل الامـة الواحدة .

رئيس التحرير

مفهوم القوميّة العربية

• بين العرب وأوربا •

محمد مصطفى بازام

خلال عشرات السنين الماضية ، كتبت في القومية العربية ، كتب مطولة ومختصرة ، والقيت محاضرات وأعدت دراسات وبحوث ، ودبجت مقالات عديدة في اللغة العربية ، كتب مطولة ومختصرة ، والقيت محاضرات لغات أخرى ، وقد تعرض بعض مؤلفيها لبحث معنى لفظة « القومية » كاصطلاح ، وحاول البعض ان يضع لها تعريفا يتفق والاتجاه الذي سار ببحثه فيه • غير أن القليلين جدا حاولوا أن يعرفوها تعريفا لغويا صرفا • ولكن أحدا ممن قرأت حتى الآن ، لم يذهب في تعريفه لمعنى اللفظ ، مذهب المقارنة بينها في اللغة العربية وفي غيرها من اللغات الاوروبية الحديثة ، كالانكليزية والفرنسية والايطالية ، على سبيل المثال ، ولم يفترض ان هناك اي اختلاف في الفهم اللغوي او في المدلول الفكري بين العربي وغير العربي لهذه الكلمة بالذات ، ربما ، انطلاقا من اعتبار ان كلمة « قومية » في اللغة العربية يقابلها لفظ Nationalism في الغة الانكليزية مثلا ، ومن غير اختلاف ولكن اذا نحن وقفنا وقفة تمعن ودراسة عند المعنى الذي تجده عند الاوروبي لهذه الكلمة ، والمعنى الذي نقصده نحن بها ، وقد نكتشف ان لدى كل منا مفهوما خاصا ، بالاضافة الى المعنى الذي نشترك نحن والاوروبيين فيه •

اذا رجعنا الى كلمة Nationalism في قواميس اللغة الانكليزية ـ العربية مثلا ، نجدها معربة بكلمة « القومية » ، ويستخدمها الاوروبي عند حديثه عن اية قومية ، ونترجم بها نحن القومية عند حديثنا معه ، سواء عن القومية العربية أو الايطالية أو الالمانية أو أية قومية أخرى ، غير أننا نجد الباحث الايطالي أو الفرنسي أو الانكليزي يأتي باصطلاح غيره عند الحديث عن القومية العربية بالذات ، انه يستخدم تركيب :

Panaralism وهو يعني القومية العربية ، ويميل اليه اكثر مما يرتاح الى استخدام تركيب Nationalisation وذلك لانه يرى في الوطن العربي عدة قوميات ، وليس قومية واحدة ، ومن هنا يستخدم عبارة تعنى تجميع القوميات المتجانسة ، للدلالة على حركة القومية العربية في العصر الحديث .

ومن جهة أخرى ، نجد في المعاجم اللغوية الاوروبية مشتقات عدة مشتركة مع كلمة Nationalism في الاصل اللغوي مع كلمة Nationalisatiom , Nationalily و Nation اما اذا رجعنا الى ما وضعه معربوها لها من الفاظ عربية ، فاننا نجد كلمات ترجع الى اصول أخرى في اللغة العربية غير الاصل الذي للقومية، اي بتعبير اخر اننا لم نقتصر على « قومي وقوم وقومية » وانما نتجاوزها الى الفاظ من اصول لغوية غيرها في العربية .

لقد ترجموا لنا كلمة Nationaliy بكلمة « جنسية » ، مع تسليمنا با نالقومية تعني في وجه من الوجوه معانيها الجنسية ، الا انه من الواضح انهما ليستا من اصل واحد في اللغة العربية ، ذلك ان للجنسية معنى عرقي خالص ، ولو أنك سألت ثلاثة اشخاص من السويسريين لاجابك الاول بأن قوميته سويسرية ، ولكنه جنسيا من الالمان ، ولقال لك الثاني بانه سويسري القومية فرنسي الجنس ، ولاجابك الثالث بانه سويسري من حيث القومية ، ولكنه من حيث الجنسية ايطالي ، ذلك ان للعرقية في اللغات الاوروبية معنى ولفظا غير لفظ ومعنى القومية عنده ، وانه يفرق بينهما ذهنيا ف :

عنده مرتبط بالارض التي يستوطن ، وبالدولة التي تمثل السيادة على هذه الارض أكثر من ارتباطه بالعرقية، أي الجنس .

ومعنى الجنسية الذي نعطيه نحن كمقابل لكلمة Nationaliy في جوازات السفر وفي الوريقات الخاصة بالخروج وبالدخول الى البلاد ، وعلى تذاكر اثبات الشخصية (الهوية) وما شابه ذلك ، لا يتأفف منه اي قومي متحمس شديد التمسك بقوميته ، وهو يسجل امامها او يقبل بان يدون له امامها : مصري ، تونسي ، عراقي .. الخ ، مع انها في حقيقة المعنى ليست غير اقليمية في مفهومناالقومي ،ولكنها تعنيالقومية في مفهومالاوروبي

فلو فرضنا ان عربيا ، رفض تسجيل مصريته أو عراقيته او ليبيته وأصر على عروبته لما فهمه الموظف الاوروبي ، ولحاوره بأنه انما يريد البلد الذي هو منه والدولة التي جاء منها ، وليس الجنس الذي ينتمي اليه ، ولعل هذا هو السبب الذي جعل الدول العربية ذات الاتجاه القومي تسمى نفسها : العربية السورية والعربية الليبية .. الخ، ففي هذه الصيغة تقدم للقومية على الوطنية الاقليمية .

وترجم لنا المعربون كلمة Nation بكلمة « أمة » ، ومع أن الامة (قوم) ، وان القوم « أمة » ، الا انهما ، مع ذلك ، من اصلين مختلفين في اللغة العربية ، ولو ان كاتبا عربيا واحدا ترجم عبارة باسم « القوميات المتحدة » بدلا من « الامم المتحدة » لما قبلنا منه ،ولاعتبرناه قد حاد عن الفهم السليم .

ومن ناحية أخرى فان كلمة Nation في اللغة الانجليزية ، وما يقابلها في أية لغة أوروبية تعتبر ذات ارتباط وثيق بكلمة دولة ، وهذا معنى قد تكشف لنا عنه هيئة الامم المتحدة التي لا تقبل أن يمثل فيها العالم على أساس أممي وترفض لهذا أن يكون عضوا فيها شعب أو أمة واقعة تحت نير سلطان دولة أخرى ، وتقبل في ذات الوقت أن تجلس دولة واحدة تمثل قوميات عدة ولكنها لاتعطي غير صوت واحد لاغير ، فاللفظة « أمة » في المفهوم الاوروبي مرتبط أو متحد بالدولة ، وغير مختلف عنه وان كان لكل منهما في مفهومنا العربي معنى خاص .

ونجد في القواميس أن كلمة « التأميم » تقابل Nationalisation ومعنى تأميم الشيء جعله ملكا للامة الامة في مفهومنا الحديث هي الامة العربية وليس الشعب الليبي أو المصري أو التونسيأو العراقي أو السوداني ، فهل حين تقدم دولة عربية في أي بلد عربي على تأميم مؤسسة اقتصادية أو صناعية أو أي مورد أخر من موارد ثروتها تعني بذلك أنها تجعله ملكا للامة العربية ؟ ..

أم أنها تستخدم هذا اللفظ بغير معناه ؟.. اننا في واقع الامر نستخدمه بمعناه الاوروبي ، الذي يعتبر القومية والامة والدولة مظاهر مشتركة لحقيقة واحدة قوامها الارض والشعب والسلطة الممثلة لهما معا ، في دولة ذات وجود قومي ، فنعني بالتأميم جعل الشيء مملوكا ملكية مشاعة للاقليم الذي يعود هذا الشيء اليه دون بقية أقاليم الوطن العربي وليس لجميع الامة العربية ومن هنا ندرك أن الامة بمعناها العربي الشامل الذي نعتبره مرادفا للقومية ليس مقصودا في لفظ التأميم ، واننا نقع في معنى اقليمي جد محدد له ونحن نستخدمه ، بينما لايجد الاوروبي نفسه واقعا في هذه الدوامة فالقومية والامة والدولة والشعب عنده وفي لغته مشتقات عن أصل واحد مشترك .

نجد في القواميس أخيرا أن المعربين قد وضعوا في مقابلة Nation كلمة وطني . وهذه قد تتسع في مفهومنا العربي لتشمل سائر أرض العرب من الخليج

العربي حتى المحيط الاطلنطي . ومن الاسكندرونة حتى المحيط الهندي ، وحتى اخر تخوم السودان العربي ، ولكنها قد تضيق أيضا أو تتقلص حتى تقتصر على مصر وحدها أو على لبنان وحده وكم أحسست بالامتعاض الذي يبديه الرجل المعتنق للفكرة القومية وهو يسمع الدعوة ترتفع الى الوحدة الوطنية في أي بلد عربي بالذات ، من هنا نكتشف ذلك التداخل بين الاقليمية والقومية في كلمة وطنية عندنا ، في وقت لا يشعر فيه الاوروبي بأية ازدواجية في فهمه لكلمة Nation .

ذلك أن الوطن عنده فكرة معنوية تجسدها ماديا تلك الارض التي يسكنها تحدها حدود دولته الخاضع لها ، أما نحن العرب فان الوطن عندنا فكرة معنوية أيضا غير أن ما يجسدها في أذهاننا هو ذلك الامتداد للقومية العربية لغويا وعرقيا وتاريخيا دون الحدود السياسية التي لاتجسدها الا بمعناها الاقليمي الضيق المحدود .

من هذا الذي تقدم ندرك أن الفهم الاوروبي لهذا المفهوم بالرغم من أننا لم نخرج بالدراسة المقارنة عن المحيط اللغوي للالفاظ التي نستخدمها في مقابلة ألفاظ ذات أصل واحد مشترك في جميعها عند الرجل الاوروبي

وأعتقد أن علينا أن نعي هذه الفوارق بيننا وبينه في الفهم ما دمنا في حاضرنا نترجم الكثير عنه ونتبناه بحكم أننا المتأثرون وهو المؤثر في هذه المرحلة الحضارية .

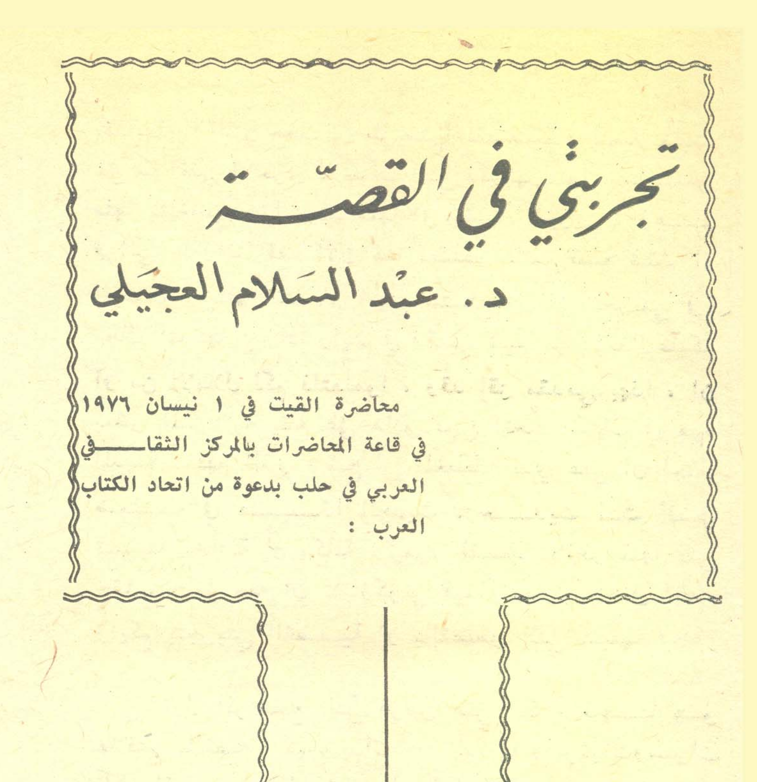
واذا نحن انتقلنا في مجال المقارنة من اللغة الى التاريخ والواقع السياسي باعتبار ان القومية اصطلاح سياسي أو هو يعكس واقعا سياسيا يستند فيما يستند الى جذوره التاريخية القريبة والبعيدة على السواء ، نجد أن منطلقات الرجل الاوروبي في فهمه للقومية مختلفة اختلافا جذريا عن مفهوم الرجل العربي لها . ذلك أن كلا منهما يستلهم ماضيه ، وماضي الرجل الاوروبي كانت قوميات قوامها الارض وليس الانسان ، بمعنى أن ساكن الارض الذي يستقر بها يكتسب قوميتها أي كانت جنسيته الاولى ، فالفرنسي هو ساكن فرنسا ، والانجليزي هو ساكن انجلترا .. الخ . أما ماضي الرجل العربي فان له قومية واحدة قوامها الانسان ساكن الارض وليست الارض ذاتها، فحيثما حل العربي واستقر وانتشرت لغته امتدت قوميته فالارض عربية بنسبتها اليه وليس هو بالعربي لان سكن الارض العربية ، وقوميته انتماء الى أصل أول هو الجد الذي ينتمي اليه وقومه اليه ، فهو عدناني أو قحطاني مهما بعد به الزمن عن هذا الاصل فانه حريص على أن ينتهي اليه من سلسلة آباء وأجداد يعرفها من اهتم بدراسة علم الانساب العربية التي ظلت العناية به حتى أواخر القرن التاسع عشر للميلاد .

من هنا فان الاوربي الذي يرتبط مفهوم القومية عنده بالارض قد عجز عن فهم الدعوة للقومية العربية التي تمتد من الجزيرة العربية لتشمل أقاليم عدة لكل منها في نظره شخصيته القومية الخاصة ، لتنصهر جميعها في قومية واحدة فقط هي القومية العربية ، بينما تفكيره يقوده الى اعتبار أن العربي الذي سكن واستقر في مصر يجب أن يكون مصري القومية حتى ولو كان من أصل عربي والعربي الذي بالعراق لايمكن في نظره الا أن يكون عراقي القومية حتى ولو تكلم العربية وكان عربي الاصل ، وهكذا عنده بقية أقاليم المنطقة ، ولكي ينسجم مع نفسه وفكره ومفهومه القومي قال بتجميع القوميات المتجانسة ولم يقل بقومية واحدة فجاء باصطلاح (البان أرابيزم) عند حديثه عن القومية العربية ولم يقل بالناسيوناليزم التي تعني عنده اقومية .

ومن هنا أيضا فان العربي الذي ينطلق من الواقع الانساني في مفهومه للقومية انطلق بدعوته لها مذ وعاها فكره الى خارج حدوده الاقليمية ليشمل بها كل الاقاليم التي تسكنها الامة العربية ، وأبى أن ينقاد لفكرة التجزئة في الوطن العربي فاتهم صراحة كل داعية للشخصيات الاقليمية بأنه داعية للفرقة والتجزئة ، وسماه بالاقليمي وباللاوحدوي وبعميل الرجعية والاستعمار لانه لا يفهم القومية من واقعها الجغرافي السياسي وانما من واقعها الاجتماعي البشري ولذا فان حدودها عنده انما ترسمها المجتمعات الناطقة بالعربية والعائدة في جميعها أو معظمها الى الاصل العربي .

ومع أن الدول العربية الحديثة تأخذ بالمفهوم الاوروبي للقومية في تشريعاتها ، فتعامل العربي من أقليم معين على أنه أجنبي، وتخضعه للاقامة بتصريح والعمل بتصريح والتنقل بجواز سفر ، وتمنحه جنسيتها وتمنعها عنه الى اخر ما هنالك فان المواطن العربي لاينقاد في مجتمعه لهذا المفهوم ويتنكر له ويعامل العربي كعربي وليس كأجنبي ، ثم انه من ناحية أخرى لا يدخل في جنسته غير العربي الذي يحمل جنسية أمريكية مثلا فهي عنده مجرد وثيقة رسمية لا تلغي جنسه العربي كما لا تدخل غير العربي في زمرة العرب .

وعلى هذا فان المثقف العربي لابد وأن يدرك أن للقومية في المفهوم العربي معنى متفقا جزئيا مع المفهوم الاوروبي للقومية ومختلفا عنها في الباقي فلا يلقي الكلام على عواهنه ولا يقتبس الاحكام والادلة عن القوميات الاوروبية ، وكما هي ، وهو يعرب أو يقدم لنا فكر الغرب في مقالة أو كتاب .



تجربتي في القصة

د. عبد السلام العجيلي

محاضرة القيت في ١ نيسان ١٩٧٦ في قاعة المحاضرات بالمركز الثقافي العربي في حلب بدعوة من اتحاد الكتاب العرب :

ايها الاخوان والاخوات :

تفضل وقدمني اليكم الاخ الاستاذ جورج سالم ، فانا اشكر كلمته الجميلة وتقدمته اللطيفة . وقد ذكر لكم ان فكرة الندوة كانت ان يدعى كتابنا القصصيون ليتحدث كل واحد منهم عن تجربته في كتابة القصة . وما لم يذكره لكم في مقدمته ان من وجهت اليهم الدعوة اعتذروا عن عدم اجابتها سواى ، فكنت انا حديدان الذي قيل عنه انه لم يبق في الميدان غير حديدان !

لاخواني المعتذرين من كتاب القصة مبرراتهم في اعتذارهم . احسب انهم رأوا في هذه الوقفة ما هو شاق عليهم او ما هو غير مرض لهم . اما انا فحظي ان اكون دوما كما قال الشاعر :

واذا تكون كريهة ادعى لهـا
واذا يحاس الحيس يدعى جندب

وانا على كل حال ارحب بهذه الوقفة ما دامت تتيح لي التحدث اليكم ، وان كنت لا أعدو الحقيقة في ذكرى للكريهة . قد الطف الامر فأدعوها نفورا . اذ أني في الواقع انفر كثيرا من الكلام عما اكتب . احب ان اكتب ، ولا احب ان اتكلم عما اكتب . هذا ميلي الشخصي ، ولي في ذلك مبررات كثيرة . من هذه المبررات ما اراه من انه حين يطلب من الكاتب ان يشرح كيفية كتابته فالامريكون كما لو أنه طلب الى السائر أن يشرح طريقة سيره . الكتابة واقصد الكتابة الفنية ، امر عفوي ، تنبعث عما يسميه بعضهم الهاما ، او على الاقل عفوية . فاذا اريد شرح هذه العفوية تعقدت ودخلت فيها عناصر لايريدها الكاتب لنفسه ، شأن السائر اذا حاول شرح كيفية سيره . قد يتعثر السائر عند ذاك وهو يفكر بأية يد تتحرك حين يمشي ، واية رجل ، واية عضلة تتقلص ، وكيف يلائم بين حركة الرجل واليد . واذا استغرق في هذا الطراز من التفكير فسيرتبك ويقع ارضا . بمثل هذه المقارنة ابتعد عن محاولة التعمق في البحث في الطريقة التي اكتب بها . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى لي عذري بالابتعاد عن الكلام عما اكتب ، وهو عذر يتمثل بضيق الوقت المتاح لي كي اصرفه الى الكتابة . مشاغلي في الحياة هي من الكثرة والالحاح بحيث لا تترك لي الا قليلا من الوقت يكاد لايكفيني للكتابة نفسها ، فكيف بالحديث عنها ؟ انا افضل في هذا مبدأ الكاتب الفرنسي الذي قال : الادب ؟ لا تتحدثوا عنه ، بل اصنعوه ! نعم ، اني أفضل أن أكتب قصة على ان اتحدث عن كيفية كتابة قصة .

هذا ميلي الشخصي وذي نظرتي في الموضوع كما قلت ، ولكن تجري الرياح بما لاتشتهي السفن ، وما منا من يملك امر نفسه او يستطيع ان يعطيها هواها . وقد طلب مني اخواني أن أتكلم عن تجربتي في القصة ، عن طريقتي في كتابتها ، فلابد من الكلام . وقد اعتذرت في مرات كثيرة عن عدم الوقوف في مثل هذا الموقف ، الا اني في مرات كثيرة اخرى وقفته واجبت على الاسئلة التي القيت علي في هذا المجال . بل اني لكثرة الاجوبة التي رددت بها على الاسئلة الملقاة علي ، ولتخوفي من الاضطرار الى تكرارها ، طبعت كتابي الذي اسميته « اشياء شخصية » وضمنته أرائي في كيفية كتابة القصة الى جانب ما اجبت به على السائلين لي من ناقدين ودارسين ومستشرقين وصحفيين حول ظروف حياتي وافكاري وميولي . طبعت ذلك الكتاب وصرت كلما وجه الي سؤال من هذا القبيل ادفع الى السائل بنسخة منه حتى اتوقى اجابة جديدة . الا ان ذلك لم يخلصني . فمنذ ذلك الحين اجبت على اسئلة مجددة كثيرة ، وخضت مقابلات متعددة ادليت فيها بآرائي في مختلف المواضيع الادبية ، حتى تجمعت لي مواد كتاب ثان من نوع كتابي « اشياء شخصية » . ولا أظن الامر ينتهي بهذا على كل حال . والدليل هذه الوقفة التي اقفها امامكم اليوم والتي اجيب بها دعوة اخوان اعزاء . فاذا لم يكن ما تريد فارد ما يكون .

لكم ان تعتبروا ما سمعتموه مقدمة حديثي اليكم .

انه في الواقع بعض المقدمة . بعضها الآخر اني كثيرا ما أتساءل لماذا أعد كاتب قصة، ولماذا يطلب مني دوما أن أتكلم عن نفسي ككاتب قصة ؟ قام باحث ، هو الاستاذ مصطفى شحادة ، بدراسة عما كتبته ونشرته حتى شهر نيسان من عام ١٩٧٢ فوجد أني نشرت ، منذ بدايتي الادبية حتى ذلك التاريخ ، رواية واحدة وخمسا وسبعين قصة ، وفي نفس الوقت كتبت ٣٥٠ مقالا وحديثا ومحاضرة سوى العدد الكبير من قصائد الشعر . اذن فالقصة ليست هي اللون الغالب ، من الناحية العددية ، في كتابتي ونصيبها منها قليل او ضئيل بالنسبة الى نصيب الالوان الادبية الاخرى . ورغم ذلك ، فان ما يطلب مني هو ان اتكلم عن نفسي كقاص قبل كل شيء . هناك عدة اسباب لهذا: من تلك الاسباب ان القصة هي الفن الادبي الاول ، اليوم، في العالم كله . لقد قامت مقام الشعر الذي كان له النصيب الاوفر من الاهتمام الادبي عصورا طويلة ، وقامت بعد ذلك مقام المقال الذي احتل مكانته الرئيسية في الاهتمام منذ بدء هذا القرن الى منتصفه . وكان احتلالها لمكانة الشعر والمقال في العالم الغربي اولا ، ثم في عالمنا العربي . وبذلك اصبح كاتب القصة في هذا الزمن ادعى الى ان تسلط عليه الانوار من كاتب المقال ، وحتى من الشاعر . هذا من زاوية نظر القراء بصورة عامة ، اما من ناحيتي الشخصية فقد يرجع الامر في غلبة صفة القاص علي الى ميلي للقص ، للحكاية ، في كل ما اكتبه ، سواء كان ذاك مقالا او محاضرة وحتى شعرا . ففي الزمن الذي كنت انظم فيه الشعر كنت كثيرا ما اصوغ القصيدة باسلوب قصصي . فاذا استهواني جمال ليلة من ليالي البادية واغراني بالنظم كنت أتصور نجوم السماء عشاقا متحابين وادير حوارا بين البدر وبين نجمة عاشقة له ، فتصبح القصيدة قصة ، قصة مصوغة في قالب شعري . الى هذين السببين ربما استطعتم ان تضيفوا سببا ثالثا لغلبة شهرة القاص علي ، وهو اني بين الذين يكتبون القصة اليوم احد صاحب موهبة حقيقية في كتابتها .

الصحيح ان القصة ليست عندي غير لون من الوان التعبير عما بنفسي وفكري . فانا انسان لي ميولي وافكاري ، ولي نزواتي وارائي ، وانا أحاول أن أعبر عن تلك الميول والافكار وعن الاحاسيس التي استشعرها بشتى الطرق . اعبر عنها بطريقة ممارستي لمهنتي ، وهي الطب ، واعبر عنها بالسير والسفر والرحلات وبنوعية سلوكي مع الناس ، وأحيانا أعبر عنها بالكتابة ، وفي الكتابة اعبر احيانا باسلوب القصة . اذا رجعت الى طوايا نفسي لا اجدني اصنف نفسي كاتب قصة مختصا بكتابها ، والذي حدث ان طريقتي القصصية في التعبير تغلبت على طرائقي الاخرى للاسباب التي ذكرتها انفا ، ما يتعلق منها بشخصي وما يرتد منها الى نظرة الاخرين ، وهم قرائي . وانا اقف الآن هنا مصنفا كاتب قصة شئت ام ابيت ، وشئتم انتم ام ابيتم ستستمعون الى تجربتي في مجال كتابتها . واذا رأيتم في وقفتي شيئا من الاثقال عليكم او من الاملال لكم فلتعلموا ، وقد اقر مقدمي بهذا ، ان بعض المسؤولية يقع على عاتق فرع اتحاد الكتاب في هذه المدينة ، فهو الذي وضع لي المخطط الذي علي أن أجول ضمنه في هذا الحديث ، حديث كنت أفضل تسميته محادثة او مكالمة ، يعود القسط الاوفر منها علي حقا ، وآمل معه ان تشاركوني فيما اتحدث عنه في ابداء رأيكم بتجربتي القصصية او بالقصص التي كتبتها .

أول المواضيع التي فرض علي الكلام فيها هو علاقتي بالقصة : كيف بدأت .. البداية والمؤثرات وسنوات الطفولة وسنوات الدراسة والمطالعات والاشخاص والخبرات الخاصة ! عن طفولتي اقول ان كتاب القصة تعودوا ان يقولوا بأنهم شغفوا بالقصة من كثرة ما كانوا يستمعون الى حكايات رائعة كانت ترويها لهم جداتهم او امهاتهم. لم يتح لي انا مع الاسف التمتع بهذا النوع من عطاء الجدات والامهات القصة التي نشأت عليها هي القصة المقروءة . فلقد بدأت قارئا في سن مبكرة جدا وقرأت في صغري الحكايات التي كان يقرؤها الكبار في البلد الذي انا منه ، وهو الرقة . في الرقة لم تكن معروفة الكتب الادبية او المترجمة وامهات الادب العالمي . ما كان بين ايدي الناس هي القصص الشعبية ، امثال الف ليلة وليلة وعنترة والزير سالم وتغريبة بني هلال . تلك كتب كان يقرؤها الكبار وكنت اقرؤها صغيرا ، وكان في ذلك لي مكسب كبير لاني كنت اصدق كل ما كتب بحرف اسود على ورق ابيض لصغر سني وضعف محاكمتي ، فاعطاني هذا زادا خياليا كبيرا لما صرت اكتب . وبعد ذلك ، وقبل ان اتخطى مرحلة الصبا ، قرأت القصة الكبرى ، واعني بها كتب التاريخ ، والتاريخ العربي والاسلامي بصورة خاصة ، فتشبعت ذاكرتي بمحتوياته . وحدث في صباي المبكر اني اصبت بمرض ، لا اذكر اليوم ما هو ، فانقطعت عن الدراسة اربع سنين ، بين العاشرة والرابعة عشرة ، قرأت فيها كل ما وقع بين يدي من كتب الدين والسير والتاريخ ، وتكاد ان تكون كلها قصصا . ذلك هو اساس اطلاعي القصصي . وقد ادى شغفي بالقراءة الى وضعي في مواقف حرجة كثيرة في صغري . ففي سن العاشرة وما بعدها كنت اقضي اوقات العطلة المدرسية واوقات انقطاعي عن الدراسة في طاحونة

لنا اشرف على سير العمل فيها واقف وراء القبان لاستأدي أجرة الطحن من الزبائن • في موقعي وراء القبان كنت انصرف الى المطالعة ، فأقرأ سيرة حمزة البهلوان أو روايات جرجي زيدان التاريخية ، فكان يسهل على زبائني وهم يرون استغراقي في القراءة ان يمضوا بطحناتهم دون ان يدفعوا ما عليهم • وكان ذلك مدعاة لتوبيخ والدي لي وربما لضربي ، لان الغلة كانت تنقص بهذا ، ويتناسب نقصها مع اهمية الحكاية التي كنت اقرؤها • فاذا كان حمزة البهلوان في موقف حرج أو كان بطل الحكاية متعرضا لخطر جسيم فقد كان من الممكن ان تطير مني اجرة عدة طحنات متوالية • ولقيني مرة والدي في وضع تفكير مستغرق وانا جالس في ظل جدار الطاحونة فسألني : بماذا تفكر ؟ قلت له : بأن أكون بطلا اسطوريا مثل فلان • افتح البلاد واذهب شرقا وغربا محاربا لاعلي كلمة الحق ! فوبخني على ما قلته توبيخا شديدا وقال لي : خيبت املي •• ظننتك تفكر بأعمالنا وكيف تفعل لتوسيعها • كنت في ذلك الوقت ولده الوحيد •

ولم تقتصر جنايات الشغف بالقصة المقروءة علي في زمن الصبا ، بل تجاوزته الى مرحلة الشباب ، ما ذكرته هي جنايات القصص المقروءة ، أما القصص التي كتبتها فقد الحقت بي جنايات اخرى • مثال ذلك ما حدث عندما نشرت مجموعتي القصصية الاولى ، « بنت الساحرة » ، وكنت في ذلك الحين نائبا عن بلدتي في مجلس النواب • في احدى قصص تلك المجموعة ، وهي التي سمي الكتاب باسمها ، يروي البطل حكاية تعلقه بفتاة غجرية كاد من اجلها ان يترك اهله ليلحق بقبيلتها •• حكاية طويلة ومشوقة فيها الكثير من الرومنطيقية ومن الحديث عن اعمال الغجر السحرية • وما حدث حين ظهرت تلك المجموعة ان جاء الى والدي وفد شبه رسمي من ناخبي في الرقة ، وكنت انذاك في دمشق ، يشكو اليه ابنه هذا الشاب الصالح الطيب الذي انتخبناه نائبا ليمثلنا فاذا به يمضي أوقاته في حكاية مغامراته مع الغجريات أيام كان يافعا ! كان من الصعب على الناس في بلدي ان لايتصوروا ان ما ارويه ليس مذكرات لي او وقائع حادثة لشخصي • لقد كانوا في كهولتهم ، مثلي في صباي ، يؤمنون ان كل ما كتب بحبر اسود على طرس ابيض هو واقع وحقيقة •

اذا كنت قلت بأني لم اتأثر كثيرا بقصص سمعتها في صغري فليس معنى ذلك اني لم أستفد من مسموعاتي مطلقا ، وانما عنيت ان بداياتي لم تكن قصصا مسموعة بل كانت قصصا مقروءة • وتقدمت بي السن فكثرت التجارب ، واتيحت لي مناسبات كثيرة لاستمع الى حكايات الاخرين • كنت بطبعي المنطوي والحيي اذنا سامعة اكثر مني لسانا ناطقا ، فجعل هذا المتكلمين يطمئنون الي والى حفظي للسر فينفضون الي بما في نفوسهم • أفدت من ذلك كثيرا ، فحفظته وضمنت بعض ما حفظت او استوحيته في كتاباتي • والى جانب الاذن السامعة اكثر من اللسان الناطق وهبت ، على ما أعتقد ، قدرة على الملاحظة وفضولا قل ان يتاح لغيري • فكنت في اسفاري ، مثلا ، اخوض مخاضات لا يجرؤ عليها الاخرون سعيا وراء التعرف على الناس وفي استقصاء الوقائع • جرى لي في باريس مرة أني كنت في مقهى يعرفه الذين ترددوا على هذه المدينة في الخمسينات ، هو الديبون لاتان ، اتناول على البار فيه قطعة بفتيك ، فاحسست بطرقه على كتفي • التفت واذا ورائي رجل بثياب مدنية يقول لي : مساء الخير ايها السيد ، وشهية طيبة ! ويخرج من جيبه هوية رجل بوليس • اضاف قائلا لي : اوراقك من فضلك • كنت قاعدا على البار وظهري له ، شعري اسود وثيابي غير واضحة النوع والهندام • كان هذا اول موقف لي امام رجل بوليس في باريس • قال مكررا : اوراقك ! قلت : لا احمل اوراقا • قال : الا تحمل بطاقة زيارة ؟ الا تحمل ظرفا او رسالة مرسلة اليك ؟ قلت : كلا • الصحيح اني كنت احمل اوراقا معرفة بي في جيبي ولكني احببت ان اسير في الامر الى اخره لارى اين يفضي • قال لي : اذن اكمل صحنك وتفضل معي الى الدائرة الخامسة بجانب السوربون ، وليست بعيدة • قلت له : حسنا • وانصرفت الى طعامي ، بينما بدأ الارتباك على الفتاة التي كانت تخدمني وقالت : لاتخف انهم يبحثون عن بعض المشبوهين • وخرجت معه من المقهى بعد ان اتممت طعامي • كنت فيما فعلت مسوقا بفضولي ، ولو كان غيري لابرز لرجل البوليس ما يعرف به وتخلص من هذا المأزق حين خرجت من المقهى ظننت اني سأسير مع مرافقي على قدمي الى الدائرة الخامسة القريبة ، ولكني فوجئت بوجود عربة الشرطة على الباب ، وهي عربة يسمونها سلة السلطة ، ويجمعون فيها المتشردين والمتسكعين في شوارع العاصمة في أخريات الليالي • لم يعد هناك مناص او مجال للتراجع ، فدخلت سلة السلطة ، فاذا بها مملوءة بالسكارى والمتشردين • وقادتنا تلك العربة الى الدائرة الخامسة حيث اخذ مديرها يغربل الآتين • كانت هيئتي في الواقع تختلف عن هيئات الآخرين الزرية من سكارى وغيرهم ، فقال لي المفتش بعد أن انتهى من استجواب الحاضرين والتعرف عليهم : ايها السيد ، هل من خدمة نقدمها لك ؟ قلت : شكرا هناك من استدعاني ولا ادري لماذا ؟ سألني : من أنت ؟ قلت : انا طبيب ، واسمي فلان • فالتفت الى من حوله وقال بحدة : من اتى بهذا السيد ؟ فتهرب رجل الامن الذي اتى بي من الجواب ، واعتذر المفتش الي من هذه الفعلة ،

بينما خرجت انا منها مسرورا . لقد اتاحت لي هذه المناسبة التحدث مع بعض المحتجزين وعرفت ان بينهم جزائريين ومغاربة اخرين ، وكانوا يؤخذون على الشبهة . بعض احاديثي معهم ومع امثالهم نفعتني حين كتبت بعض قصصي ، مثل قصتي « ثلاث رسائل اوروبية ، وغيرها . وهذه تجربة من التجارب التي خضتها عن طواعية لارضي فضولي . وحين أطاوع فضولي فاني لاأفعل ذلك بنية الانتفاع بما اكتشفت في كتاباتي ، وانما هي خصلة طبيعية من خصالي ، وحين اكتب اعود الى مكتسباتي منها فانتفع بها .

الحكاية البسيطة التي رويتها لكم هي احدى تجاربي في اسفاري . والاسفار ميدان تجارب متعددة يعرف كل من قرأ لي اني استعنت بها كثيرا في قصصي . ومثلها تجاربي في ميدان العمل السياسي ، وتجاربي في المشاركة القتالية في فلسطين عام ١٩٤٨ . **هذه الاخيرة اثرت في بشدة ،** وكانت الاساس في الكثير الذي كتبته قصصا مختلفة ومقالات متنوعة ، **كما دخلت بقوة في تصوراتي الادبية والسياسية** والفكرية . وهناك تجاربي التي واجهتها في ممارسة الطب . فأنتم تعرفون ، أو أن أغلب الحاضرين هنا يعرفون ، اني طبيب ، وان كنت أعتقد أن كثيرا من قرائي في العالم العربي يجهل ذلك .

نعم اني طبيب ، وعملي الطبي يستغرق أكثر وقتي والقليل الذي يتبقى لي من ذلك الوقت استخدمه في القراءة اولا ، وفي الكتابة ثانيا . ولا بد لي من الاعتراف بأنه على الرغم من اهمية الطب في حياتي واستئثاره بالكثير من وقتي ، فاني لم استوحه كثيرا فيما كتبته . ربما اعطاني الطب ، كفن معتمد على علوم مختلفة ، الخلفية . أعطاني طريقة التفكير وطريقة المحاكمة ، وأتاح لي دراسة الشخصيات ، الا اني لم استلهمه بوفرة في المواضيع التي ادرت عليها قصصي . اكثر ما استندت فيه الى الطب يرجع الى سنوات دراستي لهذا الفن . اثناء دراستي الطبية كانت تمر بي قضايا علمية لا تقنعني فيها اقوال اساتذتي او محتويات الكتب التي كنا نتلقى العلم فيها ، ولم اكن اجد من نفسي القدرة على حلها او الوصول الى نتيجة تقنع بها نفسي فيها . قيل لنا مثلا ان الدم سائل تركيبه معروف بدقة ، ففيه مقادير معينة من الماء وملح الطعام واملاح معادن كالحديد والكروم وغيرهما ، كل منها محسوب مقداره بمقياس دقيق . هذا القول كان يوحي بأن الدم مجرد مركب مادي ، لا حياة فيه ولا قوة . لم اكن اقتنع بهذا المفهوم . ما رسب في ذهني من قراءات ايام الصبا ومطالعاتي بعدها وشطحات تفكيري كان يقول لي ان الدم شيء غير ذلك ، واسمى من ذلك . ربما كان الدم يحتوي المنغنيز والكروم والحديد ، وكان يحتوي ملح الطعام والاوكسجين والهيدروجين ، الا ان فيه بلا شك اشياء اخرى تقاس بمقياس ولكن لها تأثيرات كبيرة ومتعددة . لا شك في ان المعلومات التي كنا نتلقاها عن تركيب الدم كانت ناقصة ، ولكن كيف البرهان على نقص تلك المعلومات ؟ لم تكن لدي الاحاطة العلمية الكافية ، ولا الادوات اللازمة ولا الخبرة التي تعينني على البرهنة على صحة ما اعتقده وعلى كشف خطل تعاليم الاساتذة الذين كانوا يدرسوننا ، فما كان امامي غير الخيال لاكمل به نقص الواقع . **عمدت في تلك الايام الى كتابة قصة عنوانها** « حفنة دم » ، وكنت آنذاك طالبا في السنة الثانية في معهد الطب . رويت في تلك القصة حكاية فتاة سيئة السمعة ، تجرح وينزف دمها فينقل اليها الدم من الطبيب المناوب حين لم يتوفر لها دم من معط آخر . تشعر الفتاة ان الطبيب أعطاها جزءا من حياته ، بينما يهزأ هو من شعورها هذا قائلا لها ، بعقليته العلمية ، ان الدم ليس غير مركب كيميائي لاحياة او قيمة معنوية فيه . غير ان الفتاة بمفهومها الساذج تحس ان عليها ان ترتفع بحياتها على المستوى الذي كانت تعيش فيه قبل ان تتلقى الدم من عروق واهبها النبيل . وحين عجزت عن ان تحقق ذلك الارتفاع وضعت حدا لحياتها بالانتحار ..

لقد اردت بكتابتي هذه القصة في تلك الايام ان أتمم ، كما قلت ، نقص الواقع بالخيال وان ابرهن بالفن على عدم امكانية العلم على الاحاطة بكل شيء . كتبت قصصا كثيرة من هذا النوع ، في ايام الدراسة محاولا تسجيل اعتراضاتي على حلول المشاكل التي تعرض اثناء الدراسة عن طريق الادب . اما حين مارست الطب عمليا فقد أقللت من استخدامي قضاياه كمواضيع لقصصي والتفت الى قضايا اخرى من قضايا الحياة المتنوعة .

وهكذا ترون ان تجاربي كثيرة ومختلفة الابعاد والمنابع . وعلى كثرتها واختلاف مناشئها اعود فأقول ان استمدادي الكبير ظل في زمن النضج ، مثلما كان في البدايات ، من القراءة . القراءة ثم القراءة ... انها القادرة دوما على قدح زناد فكري الداعية لي الى ان اكتب والمفتحة لي ابواب مواضيع جديدة للكتابة .

وما دمت اعتبرت القراءة اساسا كبيرا من اسس تجربتي القصصية فلا بد لي من القول انها تدعو الى **اتصال حميم بالاثار الفنية للكتاب الاوائل ، غابرين** ومحدثين ، وهذا الاتصال يفضي دون شك الى التأثر بأولئك المتقدمين من الكتاب . التأثر يمكن ان يكون باحد

شكلين : بالاعجاب والتقدير ، او بالرفض والثورة ،اعني برفض مفاهيمهم وطرقهم والثورة على تلك المفاهيم والطرق . اني اعترف بأن الرفض والثورة ليسا من صفاتي النفسية . فانا مطبوع على ان احمل التقدير لكل من لمحت عنده شعاعا من الاحسان ولكل من انار في بارقة خير . لقد اعجبت بما ابدعه الاولون من روائع فعرفت لهم جميل ابداعهم . وكانت خطواتي الاولى محاولة لتقليد ذلك النتاج الذي اعجبت به ، ولكن لم امض طويلا في تلك المحاولة . لم استمر طويلا في خطوات تقليد السابقين ، اولا لان اعجابي بأي شيء لا يصل الى حد التقديس ، وثانيا لاني تنبهت الى أن عندي أنا أشياء خاصة أستطيع ان اقولها بطريقة شخصية مبتكرة . لقد وجدت منهجي الخاص . الا ان سلوكي هذا المنهج الخاص لم يمنعني في يوم ما من التقدير المنصف للمبدعين الاوائل . واذا كنت احتفظت بشيء من طريقة الاوائل في تجربتي فهو في مفهومي للقصة ، او في مفهومي لها من الناحية الشكلية . انه المفهوم السلفي الذي يعتبر القصة مبدئيا حكاية حادثة . الحادثة في القصة هي الهيكل الذي يحتوي ما أريد تضمينه فيها ، من شعر وفلسفة وسياسة وسوى ذلك . والذي يميز قصتي في شكلها السلفي عن غيرها هو الاصالة ... اصالتي الشخصية . ربما يختلف القراء ومعهم النقاد في تقدير ما اكتب ، ولكن اتفاقهم يظل كبيرا في اني متميز عن غيري في ما انتج بصورة شديدة الوضوح . انها الاصالة التي استطيع ان اسميها الابتكار . واذا كانت سلفيتي ترجع الى وفائي وتقديري لمن أعجبت بهم في البدء ، فان تميزي يرجع الى ايماني بتفردي وتعلقي بشخصيتي الخاصة . اني ، في لباب الامور ، انفر من سلوك السبل المطروقة واسعى الى الابتعاد عن تقليد اي كان ولو كان نفسي . ويحدث لي اذا بدأت كتابة قصة واكتشفت بعد البدء اني سبق وكتبت شيئا مماثلا لها أو قريبا منها، يحدث لي أن أهجر ما بدأته ، أو أغير الطريقة التي اتبعتها الى طريقة اخرى . ومحاولة التجديد هذه او الابتكار ، او سلوك طريق غير الذي سلكته انا او غير الذي يسلكه غيري ، تكلفني كثيرا . ما يستطيع أن يقوم به غيري لايجتذبني بل يدعوني الى العزوف عنه . واضرب لكم مثلا على ذلك : كلما دخلت مكتبة شعرت بصدمة تفقدني الشهية للكتابة ، اذ اقول لنفسي لماذا اعني نفسي واكتب ما دام هناك الوف من الناس يكتبون وهذه اعمالهم تملأ رفوف المكتبات ؤ كلما دخلت مكتبة عاودني هذا الشعور وحدثتني نفسي بأن أستجيب له فانقطع عن الكتابة ، لولا ان الدوافع الذاتية تأتي فتسوقني اليها بقصد التعبير عما أحس بالحاجة الى التعبير عنه من هذا المنطلق أجهد دوما على ان يكون ما اكتبه مختلفا عما يكتبه غيري ، ومن طراز يصعب على غيري الاتيان به . وهذا كما قلت يكلفني كثيرا انا كثيرا ما امس ، في انتاجي الادبي ، ما لا يمس . طالما كتبت قصصا ، او مقالات مصوغة باسلوب قصصي ، يعرف من قرأها حراجتها وانها قد تؤدي بالكاتب الى ما يسبب له الازعاج . وطالما سرت في انتاجي في اتجاه معاكس للتيار السائد في الادب والاجتماع ، واحيانا في السياسة ، اذا كنت مقتنعا ان هذا التيار لا يتبع الطريق المستقيم .

ولأنتقل بعد هذا الاسلوب الذي أتبعه في كتابة قصصي . اذا رجعت الى نتاجي منها وجدتني اتبعت في كتابتها اساليب متعددة ومختلفة . بعضها لم اسبق اليه مطلقا . واذا كنت لم اكتب القصة الجديدة التي اصبحت موضة هذا الزمان وكثر من يكتبها من الاخوان ، فاني منذ زمن بعيد ، ومنذ بداياتي ، كتبت القصة التقليدية باسلوب جديد ومبتكر . آخذ قصة اسمها « حمى » مثلا . انها قصة منشورة في اولى مجموعاتي وهي مكتوبة على شكل مذكرات يرويها بطلها . الاحداث في هذه القصة لا تؤرخ بالزمن ، اي بمرور الايام وتعاقبها ، بل بتغير درجة الحرارة في جسد البطل . حين تكون درجة حرارته ٣٧ر٥ تكون له افكار خاصة وتصورات معينة ، فاذا ارتفعت الى ٣٩ر٥ مثلا اخذت تلك الافكار والتصورات شكلا جديدا وتخيل البطل احداثا لم تكن تخطر في باله او لم يكن لها وجود في وعيه حين كانت الحرارة ادنى من ذلك . من تغير الافكار والتصورات تتكون قصة غريبة احداثها لا تتطور مع الزمن بل مع تبدلات درجة الحرارة ، وتنتهي بعقدة مربكة يحار في حلها القارىء ، اذ لا يصل الى معرفة الحقيقة في امرها . وكثيرا ما سئلت من قبل قراء هذه القصة : هل قتل البطل اخاه حقا وهما معا على سرير المرض ، ام انه توهم بفعل الحمى التي تعرض لها انه قتل اخاه ؟ كثيرا ما سئلت هذا السؤال فكنت اجيب السائلين: الله أعلم بالحقيقة ، فانا مثلكم لا أدري !

ثمة صفة من صفات اسلوبي القصصي احب ان الفت اليها النظر ، هي صفة التشويق . في بدء تجربتي كان التشويق عندي مقصودا ، متعمدا ، ثم ما لبث ان اصبح عفويا . التشويق يشد القارىء الى ما يكتب الكاتب ، وقد حرصت عليه لاشد قارئي الي مستخدما عنصر الغرابة في الحادثة او التفنن في السرد . وقد عرف لي هذه الصفة من كتب عني وعدها بعضهم حجرا اساسيا في كتاباتي ، كما عدها اخرون عيبا أؤاخذ عليه فيها . الصحيح انها واحدة من مميزات أسلوبي ، وبها امتلك ذهن القارىء

واجعله يرتبط بالقصة مهما كانت طويلة ، ويقتنع باحداثها مهما كانت بعيدة عن التصديق • لولا التشويق في قصصي التي كثيرا ما تكون معقدة الافكار او بعيدة المرامي لعزف قارئي عن متابعتها ، ولا فائدة في ان تكتب شيئا لقارىء لا يقرؤه •

لقد قلت اني في اسلوبي ، مثلما انا في محتوى ما اكتب ، احاول ان اكون اصيلا ومبتكرا وسالكا طريقا متفرد انا فيه • الا انه يجب على المرء ان يعترف ان ما من انسان يستطيع الخروج من فلك المعطيات الادبية العامة • فعلى رغم محاولتي التفرد كثيرا ما اجد نفسي قريبا قربا شديدا او ضئيلا من انتاج كتاب اجانب او محليين في انتاجي • الافكار الانسانية والمشاعر الانسانية والاذواق الانسانية لابد من ان تتلاقى ، ولابد من ان يجد الكاتب نفسه واحدا من الناس ، يتمثلون فيه او يماثلهم • وقد قال ايليا ابو ماضي ذات يوم :

خلت اني في القفر اصبحت وحدي
فاذا الناس كلهم في ثيابي

كل هذا قلته في معرض الحديث عن الاسلوب • وانتقل الى مضمون ما اكتب ، فأقول ان همي كان في البداية أن أعبر عن أمور جديرة بتحريك اهتمام الاخرين ، مشوقا اياهم بغرابة ما ارويه لهم • وتبين لي بعدئذ اني كنت استخدم الشكل بدون وعي مني ليكون وعاء لافكار أريد تضمينها في ذلك الشكل وحكايتها بذلك الاسلوب • هذه الافكار كانت سلسلة اهتمامات بأمور الحياة ، مختلفة او هي متسلسلة في الدرجة والقوة • وقد تكون تلك الاهتمامات متداخلة او ان بعضها يحيط ببعضها الاخر • اهتمامات جزئية ، واخرى عامة ، واخرى أعم واشمل • لا ضرب مثلا لذلك مضمون احدى قصصي القديمة ، واسمها « الكمأة والكينين » • تلك القصة يرجع اصلها الى حكاية واقعية جرت في باديتنا منذ نحو ثلاثين عاما ، في سنة كان فيها موسم الكمأة مخصبا كما في سنتنا هذه • كان عندنا في تلك الايام رجل يخرج الى البادية ليشتري الكمأة من البدو ويعود بها الى المدينة ليبيعها فيها • كان ميزان ذلك الرجل الذي يشتري به قبانا ذا كفتين ، يحمله معه الى البادية فيأتيه عجائزها وصبيانها يحملون الكمأة التي جنوها في يومهم ليبيعوه اياها • كانوا يضعون كمأتهم في احدى كفتي القبان ، أما الكفة الثانية فكان هو يضع قدمه اليمنى فيها ويقول لهم ان قدمي معيرة موزونة ، تعادل ثلاثة أرطال •• فضعوا أيضا •• أضيفوا كمآت اخرى ! وطبعا ما كانت كفة الكمأة التي يركمها أولئك المساكين ترجح الا حين يشاء ذلك الرجل الماكر • وحدث ان اجتاحت البلاد في تلك السنة نفسها وافدة ملاريا اصاب شرها الناس كلهم • في تلك الايام ، في الاربعينات ، لم يكن دواء متوفر ضد الملاريا غير الكينين الذي كان يزرقه للمرضى متطببون جهلة لقلة الاطباء • وحدث ان اصيب تاجر الكمأة هذا بالملاريا ، فجاء من البادية ينتفض من الحمى وقصد واحدا من اولئك المتطببين ، فحقنة بابرة كينين صدف ان ضلت موضعها وأصابت العصب الوركي للرجل التي كان يضعها في ميزان الكمأة ، فشلت • هذه حكاية واقعية جعلتها محور قصتي « الكمأة والكينين » ، فادرت في تلك القصة محاكمة تجري امام العارفة ، وهو قاضي البادية ، بين التاجر الغشاش والمتطبب الجاهل ، أمام راوي القصة وهو طبيب مأذون • في سياق تلك المحاكمة يقنع المتطبب العارفة بأن ابرته اذا كانت ضلت مكانها فبارادة من الله الذي شاء ان يجعل جزاء هذا التاجر ، الذي كان يستخدم رجله الآثمة لسرقة كمأة العجائز والصبيان ، على يده هو المتطبب ، فكأن ابرته اصبحت اداة تطبيق حدود الله على المذنبين بعد ان تعطلت تلك الحدود في هذا الزمن الفاسد ! اذا رجعت الى المضمون الفكري لهذه القصة وجدته يتألف من سلسلة اهتمامات متداخلة : في الوسط اهتمام جزئي بمشاكل عامة الناس في المنطقة التي انا منها ، الذين يقعون ضحية جهلهم وخبث المستغلين لذلك الجهل ، ويحيط بهذا الاهتمام الاول اهتمام اكبر يتعلق بالصراع بين العلم والجهل ثم بالشك في القيمة المطلقة للعلم وفي ان الجهل قد يحتوي بعض العلم ، ويحيط بهذين اهتمام اشمل منهما ، فلسفي او ميتافيزيكي يتعلق بموقف الانسان او بمصيره بين يدي قوى تستطيع ان تستخدم جهل الجاهل أداة لتحقيق عدالة لا يمكن للعلم ان يحققها ، ولا يملك العالم الا التسليم بصحة تصرفها •

هذا مثل عن مضمون قصصي • واذا رجعت الى كل ما كتبته اجد ان فكرة شاملة تكاد تكون قاسما مشتركا لنتاجي القصصي ، او انها المغزى العميق الذي يكمن في مفردات ذلك النتاج • وقد لخصت هذه الفكرة في احدى اجاباتي على بعض الاسئلة التي وجهت الي ، واسمحوا لي ان اورد هذه الاجابة المختصرة بنصها • قلت فيها ما يلي : « كتبت قصصا كثيرة تدور حوادثها في جو طبي وتصف الصراع بين الطبيب ، اعني الانسان المسلح بسلاح العلم ، وبين المرض بملايين عوامله المعروفة والمجهولة • وعلى رغم ايماني بالعلم وبمعطياته الخيرة وبضرورته اللازمة لمجتمع كمجتمعنا العربي في ايامنا الحاضرة ، كنت اجعل الغلبة في قصصي للمجهول على المعلوم ، واضع الطبيب او العالم موضع القلق الحائر او المغلوب الضائع • وكتبت

قصصا انسانية ، الناس فيها خيرون يبذلون كل مجهودهم لبلوغ طمأنينة النفس ، ولكن العالم المحيط بهم يتغلب عليهم وينتهي بمجهودهم الى العدم • وكتبت قصصا قومية يحارب شخوصها من اجل مثلهم العليا ، وهي مثلي انا الشخصية ، بكل قواهم •• ولكنهم لا يبلغون غاياتهم • فابطال تلك القصص منكوبون دوما ، او مقتولون ، على حبي لهم وتمجيدي اياهم • يكاد التشاؤم ان يكون هو الفكرة المهيمنة على قصصي لولا ان صفة مشتركة بين ابطالها ترفعهم الى اعلى من مرتبة التفاؤل • هذه الصفة هي لا مبالاتهم بما يصيبهم ما داموا جادين في كفاحهم • هي كبرياؤهم التي لا يؤثر فيها الفشل ولا الموت • انهم يعرفون ان الظروف المحيطة بهم والطبيعة التي يعيشون في حضنها والوجود الذين هم منه اقوى منهم ، ولكن ذلك لا يخيفهم ، فهم يتحدون كل تلك العوامل بالجهاد في سبيل غاياتهم المثلى • هذه هي الفكرة الشاملة التي ينبعث منها موقفي كأديب في الحياة • فأنا كانسان مؤمن بانسانيتي من ناحية وبعقلي ومعطياته العلمية من ناحية ثانية ، حائر بين أمرين ، أو على الاصح مدرك لامرين : الاول هو ضآلة شأني كمخلوق بشري في الوجود • فالمخلوق البشري ليس الا ذرة على كوكب هو تابع لشمس تابعة لمجموعة سديمية نعلم بعقلنا القاصر ان الكون المدرك من قبلنا يحتوي ملايين من امثالها • والثاني هو كبريائي كانسان ، وهي كبرياء تدفعني الى الكفاح وبذل كل جهد في سبيل غايات سامية معينة •• فاذا غلبتني القوى المتألبة علي فانها لا تكون قد غلبت جبانا مستسلما بل مكافحا مناضلا • من تصارع هاتين الحقيقتين ، ضآلة شأن الانسان وكبريائه المكافحة ، يتألف موقف أبطال قصصي المتميز وبه تتوضح ارسخ معالم مذهبي في كتابة القصة » •

هذه هي الفكرة الشاملة التي عالجت ، مؤمنا بها ومتأثرا بها ، مختلف الموضوعات في قصصي • الابطال في قصص النضال القومي التي كتبتها لم يبلغوا غاياتهم ، مع الاسف ، لاننا كما نعلم لانزال نكافح ولم نصل الى الاهداف التي حددناها لانفسنا • ولكن الذين قضوا في قصصي لم يموتوا ، كما قلت ، مهزومين ، بل ماتوا مناضلين مؤمنين • وما عرضت اليه ، فيما كتبته ، عن التباين بين المسلمات العلمية الحاضرة وبين واقع الاكوان هو صحيح لاننا لم نستطع ان نستجلي كل مجهولات هذه الاكوان • ومن قرأ قصصي السياسية يعرف اني كتبت عن امور وصرحت باشياء كثيرا ما يكون الكلام عنها ضد التيار السائد، ولكني عن قصد تكلمت عنها لاني أردت أن أكون صوتا صادقا في خضم اصوات كثيرة غالبا ما ينقصها الصدق •

اعود الى نقاط المخطط الذي رسمه فرع اتحاد الكتاب كي اتكلم ضمنه عن تجربتي القصصية فاجد ان بقي علي الحديث عن طريقتي في العمل ، في كتابة القصة اعني •

في هذا المجال اقول ان عناصر كثيرة تدخل في كتابتي للقصة كعمل • هناك الموحيات أو الدوافع ، وهناك العمل نفسه كانجاز • الموحيات تأتي في اكثرها مما تراكم في ذهني من تجاربي في مختلف قطاعات الحياة • قد تمر بي حادثة لا أوليها اهتماما في ساعتها ، وتمضي الايام فتقفز تلك الحادثة الى خاطري ، لمناسبة او غير مناسبة ، فاذا بي اكتشف اهميتها وجدارتها بأن تستوحي منها قصة ، فتكون القصة • قصة « رصيف العذراء السوداء » مثلا ، بنيتها على حكاية متصوفة سويدية التقت بها في ذات يوم ، ودارت بيننا احاديث مختلفة منها ما كان حول نظرة الشرقيين والغربيين الى الذات الالهية •• احاديث عابرة طالما تداولتها مع من التقي بهم ، ثم جاء ظرف تذكرت فيه تلك الاحاديث ووجدتها تقرع ابواب موهبتي القصصية وتدعوني الى الكتابة ، فكتبت قصة « رصيف العذراء السوداء » • وفي ذاكرتي مخزونات كبيرة من هذا النوع ، تلح علي لاستوحيها قصصا ، ولكن الوقت يعوزني في ذلك • اذكر اني منذ نحو عشر سنين زرت في ضواحي فيينا القصية منطقة مايرلنغ المشهورة بمأساة انتحار الارشيدوق رودولف وعشيقته في قصرها ، وتجولت في الغابة الكثيفة والوارفة الظلال المحيطة بذلك القصر • ودلني صديقي النمساوي الذي قادني الى تلك الضاحية على دير مبني في وسط الغابة اسمه ــ دير الصليب المقدس ــ ، كما حدثني عن خصائص هذا الدير • فرهبان هذا الدير وراهباته يعبدون الله بسكوتهم • عبادتهم هي الصمت الدائم ، لا يفتحون افواههم بالنطق الا ساعة واحدة في كل عام • لقد ملأت نفسي حكاية هؤلاء الرهبان واوقدت خيالي منذ سمعتها من صاحبي ، وهي لاتزال تغريني كلما عادت الى ذاكرتي بكتابة قصة حول جو الدير وصمت قاطنيه ، أتخيل فيها ماذا يمكن أن تحوي هذه الساعة من كلام بعد صمت ثلاثمائة وستين يوما كاملة •

تلك امثلة من مخزونات الذاكرة الموحية ، كتبت

بعضها وبعضها صالح لان يكتب في يوم من الايام • وربما تجاوزتها الى موحيات اخرى ليست على البال • تمر بي احيانا لحظة عابرة فتملأ نفسي باثارة تسوقني الى ان اخلق منها عالما كبيرا • قصتي قناديل اشبيلية التي يعجب بها كل من قرأها نبعت من انطباعات لحظة ، أو لنقل برهة ، من امثال تلك ، مرت بي في زيارتي لمدينة اشبيلية في الاندلس • نزلت بعد منتصف الليل من قطار الكوريوس ، قادما من غرناطة ، في اشبيلية في جو رطب ندى ، ورحت اتجول منذ وصولي في شوارعها الغاصة بالحدائق والمتدلية من اسيجتها أغصان الياسمين المذكرة بشوارع دمشق • كان القمر بدرا والمدينة ساكنة • تغلغلت في الازقة متعرفا على أحياء المدينة كعادتي كلما هبطت بلدا جديدا ، فوجدتني اسير في دروب ضيقة ندية معطرة بشذى الياسمين ، مظلمة الزوايا ، ينير سماءها البدر ، ومن خلال الابواب المشبكة لدورها تلوح ساحات صغيرة ، هي الباسيو ، تفيؤها قناديل مزخرفة الصنع ، كل بيوت اشبيلة القديمة عربية الطراز ، تتوسطها تلك الساحات التي اسمها باسيو • البدر في السماء والبيوت تحته رائعة ساكنة ليس فيها من اثار الحياة غير القناديل المضيئة النائسة • ملأت تلك الصور نفسي وظلت تقرع وجداني تريدني على أن اعبر عن تأثري بجمالها ، الى ان كتبت تلك القصة التي قال عنها مارون عبود « ما عليك الا ان تقرأ « قناديل اشبيلية » فانها تغني عن العيان ، وقد تنقلك الى اشبيلية كما نقلني العجيلي ، والشرط ان تقرأها وانت في فراشك ليلا كما قرأتها انا » ••

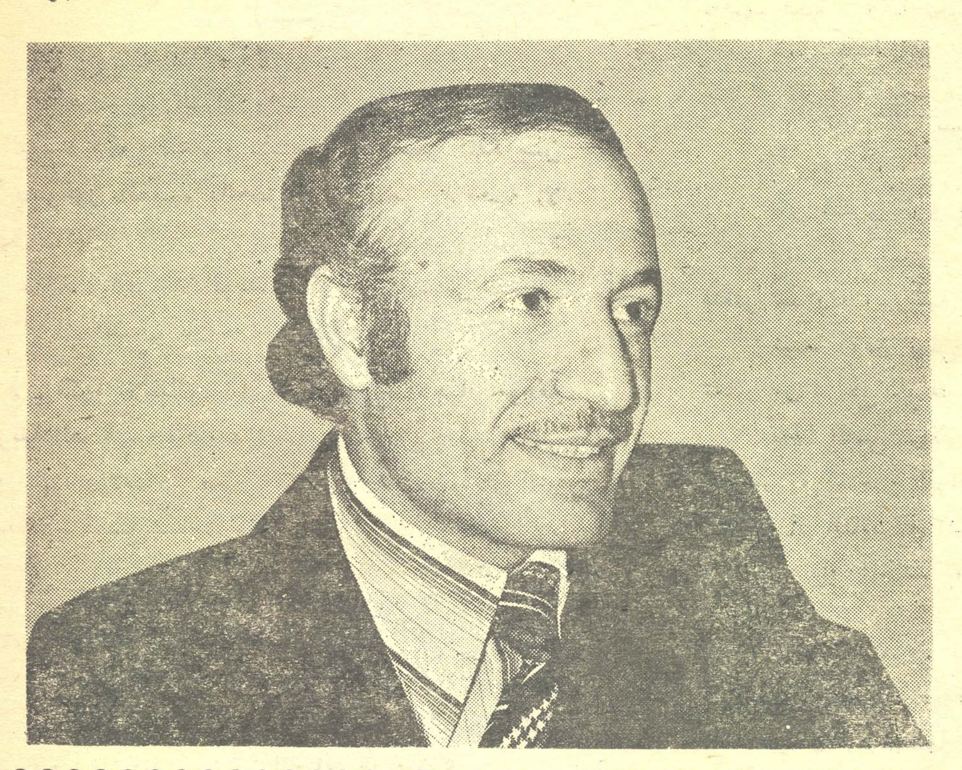
لمحات لا حصر لها قادرة على اثارة شعور انسان مثلي وايقاد خياله ثم دعوته الى الكتابة • كنت مرة اقصد دمشق في سيارتي وحيدا ، وفي حمص ، في قلب البلد ، عند مفترق طريقي دمشق و طرابلس ، وقفت بسيارتي على الضوء الاحمر • كم يطول الوقوف على الضوء الاحمر ؟ دقيقة او اقل • في تلك الدقيقة اخذ نظري بمنظر طريف : مرت فتاة تلبس ثياب الفتوة ، في يدها كتاب ، تمشي على مهل متجهة نحو وسط المدينة ، اسرع وراءها شاب انيق ممشوق القد في عمرها ، كلاهما كان حوالي السادسة عشرة •• مد يده فدس في كفها شيئا ما ، ربما ورقة ، واسرع فتجاوزها ، بينما اكملت هي طريقها وقد تضرجت وجنتاها بحمرة فاتنة •• وتحول الضوء من احمر الى أخضر ، وسرت انا • هذه الصورة ارتسمت في ذهني بقوة واشتعل بها خيالي بصورة غريبة • الساعة كانت الثانية •• هذه فتاة اتعدت في الساعة الثانية مع فتى في سنها ، هو اعطاها ورقة •• لا بد من ان تكون تذكرة سينما •• سيكون مقعداهما متجاورين •• أي الاحاديث ستدور بينهما ؟ ••• ترى اية ظروف تقرب واحدهما من الاخر ، وايها تفرقهما ؟ ••• ما هي اراء اهلهما لو علموا بالعلاقة بينهما ؟ •• انه موضوع جديد بقصة !

وافقت في احدى الليالي ، في دمشق ، على عصف الريح فرأيت شجرة سنديان عاتية ، عالية الفروع ، في ساحة مدرسة الفرنسيسكان أمام الدار التي كنت أسكنها في العاصمة ، تهتز بقوة العاصفة • كانت اغصان السنديانة تتراقص متمايلة في حركات عجيبة ، تتلاقى ، تتعانق ، تتفارق ، الجذع يميل حتى تكاد بعض الفروع تقبل الارض ، ثم يستقيم حتى تكاد تجلد حائط البناء المجاور •• لم استطع النوم وظللت اتطلع الى تلك السنديانة ترقص رقصتها تلك على صفير الريح الهوجاء •• ما تملكني من مشاعر كان جديرا ان يتحول في نفسي الى موضوع قصة ، قد لاتكون عن الشجرة العتيقة ذاتها ، ولكن هذه الشجرة تكون موحيتها • الموحيات كثيرة ، فلماذا لاتتحول كلها الى شكل قصصي ؟ ثمة اسباب كثيرة ارى الوقت يضيق عن الكلام عنها في هذه الوقفة في هذه الامسية •

اني في الواقع ، وفي الوقت القليل الذي استطيع ان اخصصه للكتابة ، احار ما ذا اكتب مثل حيرتي في ايجاد الوقت الذي اكتب فيه ، وتأتي تكليفات اخواني الكثر لي بالكتابة ، وهي تكليفات لا استطيع ردها ، فاجهد جهدي لاجد الوقت ، وحينئذ أعود الى مخزونات الذاكرة من مواضيع القصص التي ذكرت لكم امثلة عنها • انا في الحقيقة مدين لهؤلاء الاخوان الذين اضيق في البدء بتكليفاتهم ، التي ذكرت لكم أمثلة عنها • ولكني في النهاية أجدني مسرورا بها لانها تتيح لي التفريج عن نفسي بالكتابة والتعبير عما اريد التعبير عنه ، واضافة اثر فني الى اثاري السابقة • من هذا القبيل ما الزمني به اخواني أعضاء فرع اتحاد الكتاب في هذه المدينة العامرة من الوقوف أمامكم ، فأتاحوا لي فرصة اللقاء بكم والتحدث اليكم بكلام ان لم يكن نتاجا أدبيا بذاته ، فانه على هامش الادب ، واعتذر اليكم في النهاية عن الاطالة في هذا الكلام الذي سمعتموه ، وقد كنت ذكرت في مقدمة أحد كتبي أن أعقل الناس هم أفراد قبيلة في افريقيا تلزم الخطيب في مجافلها بأن يلقي خطبته وهو واقف على رجل واحدة ! والسلام عليكم •

كوى الى آفاق الفكر الكويتي

بقلم الدكتور
اسعد علي



مدخل إلى بريد الشكر

— ١ —

« كوى الى آفاق الفكر الكويتي » عنوان أردت به تواضع الدراسة وسرعتها لموضوع يستحق تأملا وتمهلا : فأسئلتك(١) بعد مهرجان الشعر عن الادب الكويتي حملتني الى التفكير فيما وراء الحروف التي سكبت بها انطباعي يومذاك .

— ٢ —

عدت الى بيروت(٢) ومعي مواسم من نتاج عدد من الشعراء والشواعر والنقاد والمؤرخين ، ومن الصحف والمجلات ومنشورات الجامعة ووزارتي الاعلام والاوقاف

ولما رتبت هذه المواسم ترتيب من يتأهب لدراستها ألفيت نفسي أمام نتاج متنوع .

في هذا النتاج لكويتيين خلص ،

وفيه لكتاب من أقطار عربية ، لكن نتاجهم عن فكر الكويت ، وفيه لادباء عرب كتبوا وهم في الكويت ، وفي الكويت قدموا الي آثارهم ، وفيه تراث عربي قديم نشرته وزارتا الاعلام والاوقاف الكويتيتان ، وفيه تراث انساني حديث يقدم في الكويت ، كما في « عالم الفكر » ، وفيه نشاطات جمعيات كويتية جمعت ، كما في المواسم الثقافية لرابطة الاجتماعيين ؛ وفيه من نشاطات جامعة الكويت ، ومن أعمال وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل ، هذا النتاج

---

١ ـ أعني به الاستاذ عبد الله خلف ـ صاحب جولة في عالم الادب ، وهو الذي قدم شعراء المهرجان عشية ١٤ـ٥ـ١٩٧٥ ، واجرى معي مقابلة حول الشعر الذي انشد في المهرجان خصوصا وحول الشعر الكويتي عموما ..

٢ ـ بتاريخ ١٦ـ٥ـ١٩٧٥ ، عدت الى بيروت بعد قضاء عشرين يوما في الكويت ..

الكويتي المتنوع غير ماحملته من الصحف والمجلات التي **نشر فيها شيء ما يتعلق بمحاضراتي أو كتبي أو عملي .**

فماذا يمكن أن نقول لكل هؤلاء ؟ أأكتفي بالاطلاع على هذا النتاج ، أم أقول شكرا لمنتجيه ؟

— ٣ —

أنا أعرف أن الشكر واجب ، وأعرف أن الشكر يديم النعم ويزهر النماء والتفتح ، لكن **شكر المفكرين الذين يصوغون أنفسهم بالحروف لا يثمر أفراحه الا بالحروف ذاتها** ، وفكرت أولا بتحية هؤلاء الموهوبين بصورة رسائل خاصة ، دعوتها : **بريد الشكر** ، أو رسائل التقدير والشكر ، ثم خطر لي أن هذا لا يكفي . لماذا ؟

لان فكرة الاجيال ، بل **فكرة صراع الاجيال موجعة في التربية العامة** ، فالاكبر والاصغر في صراع دائم ، أعني صراع الاباء والابناء ، صراع المعلمين والطلاب ، الى آخر السلسلة .. أسمع شكاوى كثيرة ،

خلاصتها أن الثقة بين الاجيال تمر في غير مواسم الخصب ، الاديب الكبير لا يثق كثيرا بأدباء الشباب الناشئين، والاديب الناشىء لا يثق كثيرا بالادباء الكبار ، فهم جيل اليباس والانتهاء والتعويق ، ومثل هذا يقال في حقول أخرى ، وهنا المشكلة ، **من من الجيلين على حق ؟**

— ٤ —

أعتقد الحق في الجيلين ، لكن **من جهة الثقة : أعني** أن من حق كل منهما أن يثق به الاخر ، وان تكون العلاقة بينهما كالعلائق بين الجذور والجذوع والاغصان والفروع (١)،

هذه هي علاقة الاصالة بالتجدد ، التجدد تفتحات الاصالة، والاصالة أسرار التجدد، كذلك جيل الشيوخ وجيل الشباب.

أنا أثق بالجيلين وأحبهما معا ، أحب من هم أكبر مني وأحب من هم أصغر مني ، والقضية قضية زمان يتقدم فيه انسان اخر ليمهد له ويشق له الطريق .. ولطالما **عشت في نعيم سماء من عيون الشباب(٢) .. ولطالما سعدت في** جنان من عقول الشيوخ ..

لذلك أحببت تحية الجيلين في الكويت :

أحببت أن أقول شكرا لهؤلاء المفكرين الذين قدموا نتاجهم تحية ، وأية تحية أقدر على اسعاد الحياة من تحية مفكر بثمار فكره ؟

— ٥ —

لكن شكري كوى ونتاجهم آفاق .

والكوة في الجدار تعني النافذة ، أما كوى النهر فتعني جداوله وسواقيه ..

بينما الافق يعني الناحية ، ومهب الارياح ، وما تماس من نواحي الفلك بنواحي الارض ..

بهذا المعنى أردت بريد الشكر كوى الى آفاق الفكر الكويتي ، ففتحت النوافذ الى أفق أو أفقين من آفاق الشاعر أو الناقد أو المؤرخ ، أو كاتب القصة والمسرحية والمقالة ، أو المحاضر والعالم الديني الفقيه ،

ان كثرة هؤلاء المنتجين والتزامي برد التحية لكل من حياني جعل ردودي كوى ، وشفيعي أن هذه الكوى على صغر عيونها وتواضعها ، ترى آفاقا رحبة من افاق الفكر الكويتي ،

ولن تستثني كواي افاق أحد وصلني نتاجه ان شاء الله ، ولكن المسألة مسألة زمان نصعد سلمه درجة درجة .

— ٦ —

هنا بريد شكر لاربع شاعرات كويتيات :

ولثلاثين شاعرا :

ولفقيه ومؤرخ وناقدين ،

والرابط بين الجميع الفكر الانساني الباحث من انسان مستقبل أسمى .

---

١ — أوضحت هذه العلاقة في محاورات الطلاب ، في كتاب «الطلاب وانسان المستقبل .

٢ — في كتاب : الطلاب وانسان المستقبل ، فصل عنوانه : سماء من عيون الطلاب .

وقد بدأت بالشواعر لانهن لم يشتركن في مهرجان الشعر الذي أقيم في رابطة الادباء ، هذا العام (١) ٠

ثم نقلت عيون الكوى بين آفاق شعراء المهرجان(٢) ، فشعراء الدواوين(٣) ، فشعراء ديوان المنتقيات من الشعر الكويتي(٤) ، ٠

واذا أخرت الفقيه (٥) والمؤرخ (٦) ، والناقد (٧) فلأنني كنت بعيونهم أرى آفاق أصحاب النصوص الشعرية ٠٠ ولأنني أردت أن يكونوا المعراج من الشعر الى الفكر ، في الشعر الذي قدمته عليهم ، وفي النثر الذي نفتح الكوى الى آفاق أصحابه عندما يمنحنا النور قوى الرؤية الصاعدة٠

ـ ٧ ـ

طابع هذه المحاولة الشكر والتقدير لمواهب الموهوبين والموهوبات الذين أرادوا مواهبهم الخاصة هبات ضياء وغذاء عامة ٠٠ **فمواهب الانسان الفكرية أغنى وأبقى من مواهب الطبيعة المادية ٠٠**

فهل يقبل هؤلاء الموهوبون والموهوبات كواي المتواضعة ؟

حسبي أنني وضعت عيونها في اتجاه آفاقهم لتكون رمز شكر وتقدير للفكر ومن ينتجه أو يخدمه أو ينقله في سبيل انسان عربي أصيل يتجدد بالتفكير والتعبير والتعمير ٠٠

ثانياً :

نماذج من الكوى والآفاق

خالد سعود الزيد

وآفاق النور

بريد الفكر من الكويت يفتح للتدبر كوى الى آفاقه ، ويمنح النفس قوى من انطلاقه ،

فتحت كوة من كوى بريدي هذا الصباح لأبترد لامن حر الصحراء وحسب ، وانما لأبترد من حر الكسل : فان لا أخشى نارا من النيران كما أخشى جهنم الكسل ، أعوذ بالله من الكسل ورفيقه الدائم الكذب ٠٠ فهذا المرافق يزين نتائج الكسل ويبرد مفاتن التراخي ٠٠

شددت حيلي وأطلقت عيني في أفق خالد سعود الزيد فأخذتني جهات النور في آفاق الكوة الخالدية ، جهات في كتب أم كتب في جهات ؟

انها الجهات الخمس في خمس اثاره :

١ ـ ادباء الكويت في قرنين٠
٢ ـ خالد الفرج
٣ ـ من الامثال العامية ٠
٤ ـ صلوات في معبد مهجور ٠
٥ ـ والقصيدتان اللتان أنشدهما في مهرجان الشعر الاخير : محمد ٠٠ وراحلة الاسفار ٠

الادباء و « خالد الفرج » أثران نقديان ، وماأحب أن أنقد الناقد ، لكن الهمس سهم ينفذ في الأقطار مبلغا رسالة الأسرار ٠ وأهمس لابن سعود الزيد : إنهما عملان للوفاء لكنه وفاء الذوق ، والذوق ، هنا ، ذوق المعرفة ٠٠ هل فهمت ؟ هذا مثل من انطباعاتي ٠٠ والأمثال: أنت مختارها وشارحها ،

وهذا أثر يعكس صورا من شخصية العربي ومجتمعه وتاريخه ٠٠ وفي عنايتك الجادة بهذا اللون من التصوير إشارة وتنبيه ٠ ليكون الانسان إنسانا حقا،فيحذر السلبيات ويغري بالايجابيات٠٠أليس في ذلك ما يكفي٠٠هل اتضحت الاشارة ؟

وأصل معك الى عبارتك : « صلوات في معبد مهجور» وهل يكون مهجورا من ترفع فيه الصلوات ؟ والصلاة صلة ٠ وأين المهجور من الوصل ؟

الاشارة عميقة ياخالد ٠ ومن قبل نزل بها الوحي، ونطق بها على لسان النبي العربي(ص) : «يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا » ٠٠ أتلاحظ التوتر في هذا « الاتخاذ المهجور » ،

إننا نتخذ القرآن للترتيل والتلاوة والقراءة يوميا ، ولكن هذا الاتخاذ الظاهري لايمنع أننا بعيدون عن روحه

---

١ ـ عشية الاربعاء ١٤ـ٥ـ١٩٧٥ ، أعني بالشواعر : ليلى العثمان ، سعاد المبارك ، كافية رمضان ، فاطمة العلي ٠٠

٢ ـ هم : خالد سعود الزيد ٠ خليفة الوقيان ٠ يعقوب السبيعي ٠ عبد الله سنان ٠ عبد المحسن محمد الرشيد أحمد السقاف ، حسن مبارك عبد الصاحب الموسوي ، جميل علوش ،فيصل السعد ، مبارك الخاطر ، مختار غالي ٠٠

٣ ـ هم : رضا الفيلي ، علي السبتي فاضل خلف ، محمد الفايز ، محمود الايوبي ٠٠ محمد القيسي ، محمد شاهين ، شريف ضمره ٠٠

٤ ـ هم : عبد الله أحمد الحسين ، أحمد العدواني ،علي الربعي ، يعقوب الرشيد ، عبد الله زكريا الانصاري ، عبد الله العنيبي، محمد المشاري ، خالد الفرج ، صقر الشبيب فهد العسكر ٠٠

٥ ـ ٧ ـ : هم : الشيخ يوسف القناعي ٠ عبد العزيز محمد المنصور٠ عبد الرزاق البصير ، محمد حسن عبد الله ٠٠

المريح ، وبذلك هو مهجور ، فمتى نتخذه محبوبا تسري روحه في أرواحنا وتنعكس قوة في أجسادنا وأعمالنا ٠٠ ؟

لقد حاولت في «صلواتك» أن تعيدالألفة بين المعبد والعابد فلا يظل مهجورا ٠ لقد عزفت على أوتار المكان والزمان والانسان جميعاً لتذيع ألحان المحبة بجمال الرحمن وتبعث الألفة بين المعبد المهجور بالغفلة والعابد المذهول بالدهشة ، ولِمَ لا تكون صلواتك الاربع عشرة هذه الانغام المؤلفة وأنت في خامستها تقول :

لولا القصيدة ما غنت مغردة
ولا بكت ذات طوق فوق أفنان
هي الوجود ٠٠ وهل هذا الوجود سوى
قصيدة قد برتها كف رحمن ؟

إن سؤالك جواب مجنح وإن المعبد غير مهجور ٠ هو مسكون بألوان وألوان ، وألحان ،ولكنه مطلق ،كما وصفت محمدا صلوات الله عليه بقولك :

مالمعناه في الحقيقة حد
كل شيء من نوره مستمد
قد مشى عبره الوجود سباقا
نحو غاياته التي لاتحد
سل حراء عن ليلة القدر مامن
شاهد غيره هناك يعد
قد تلاقي ركب السماء بر
كب الأرض في محمد وهو فرد

فهل من هجر بعد هذا اللقاء ؟ وهل تستصغر كوة تنقلك إلى آفاق الفكر في مدى قواه ؟ ٠٠

خليفة الوقيان

وآفاق الغيرية والتحرر والتجدد

بريد اليوم يفتح كوة إلى آفاق الفكر الكويتي ، ٠

ماذا وراء النافذة ٠ انني ألمح أفق المبحرين مع الرياح إنهم مسالمون، يسيرون كما تريد الرياح لكن خليفة الوقيان يقف في طريقهم روحاً وثابا ، يثبت في وجوههم ليستيقظوا ويغالبوا الرياح ٠

خليفة الوقيان ظاهرة في الكويت ذات آفاق ثلاثة : الغيرية ، والتحرر ، والتجدد ٠٠

خليفة غيري ، كما يقدمه عنوان ديوانه : «المبحرون مع الرياح»أما هو ، أما مايدل اليه وعليه فاولئك الاصحاب الذين يعتبرهم غرقى بمتاهة الانصياع لغير ارادتهم ومتاهة الاتباع لغير حقيقتهم ٠٠

إن خليفة ، ينبه المبحرين الغرقى ليستعملوا عيونهم ويدركوا حقيقة التيه البحري الذي يستسلمون أنفسهم لتيارات رياحه ٠٠إنهم مستسلمون، لايبالي واحدهم بأوراق اليابسة أو جذعه العاري ، أو ثوبه الممزق ، ان الشتاءوالريح والليل قوى تتعاون على ابادة هؤلاء المبحرين مع الرياح ولا يقاومون فماذا يصنع المحب ٠٠

ان المحب لعبد ان الحبيب لمولى

كما يقول نديم محمد

وإن خليفة الوقيان ، غيري محب ، لذلك يرتق ثياب أصحابه ، ويخلع فوقها ثوبه ، ويتحول ، بالحب ريحاً تقاوم الريح التي تسوق المبحرين إلى غيابة الموت ، ويحول قلبه زيت سراج لليلهم الذي يستسلمون لظلامه ، وعبارته لهم:

الريح تسرح في شراعكم
غربا ٠٠ وأبحر فيكم شرقا ٠٠
قلبي لكم في كل مفترق
زيت السراج بليلكم يشقى

أفق الغيرية أول أفاق خليفة ٠٠وما أحوج الناس إلى هذا الأفق ، وقد غرقوا في متاهات الأنانية حتى فقدوا حسن الرؤيةوالتمييز ٠٠ لذلك يجرب خليفة الوقيان أن يبحر فيهم شرقاً نحو النور، وأن يوقد لهم مصابيح الهداية بزيت الحب الموقد من قلبه ،

وهذا الزيت القلبي إشارة إلى منبع الرؤية الأصيل، فالقلب يرى قبل العين،وما يريك القلب لا ما تريك العين فيه تمسك ٠٠لأن أرواح الداخل أصدق وأقوى من رياح الخارج

وهنا يطل خليفة بالمبحرين على أفق التحرر ،

فالحرية لاتجيء من الخارج ، لا تعطى عطاء ،الحرية تتفتح من الداخل وتجني اخذا من مجاني قلب الانسان ،أي من صميمه ٠٠ وقصائد الديوان محاولات لوضع الاخر في هذا الجو المشرق الداخلي ٠٠ وقصيدة الفجر مثال بين لهذه المحاولة :

يا حابس النور عن عيني من سفه
ومسدل الليل كهفا كاد يطويني
هل أنت تبلغ نفسي حين تأسرني
أم أنت تملك روحي حين تعميني٠
ان كنت تملك شيئا لست أملكه
فان لي عنك كنزا بات يغنيني ٠٠
اني صحوت وبان الصبح في أفقي
لما هجرت كهوف الذل والهوان
وقد ملكت جناحا بات يحملني
الى سماء رضاب النور تسقيني ٠٠
أكاد أسمع لحن الحب يغمرني
خلف المسافات،عن قرب، يناديني٠

إن هذا الشاعر الشاب يجاهد ليخترق جدران سجون الانسان التي تحبس عنه نور نفسه وصباح حبه ••إنه يجاهد ليغير مسيرة المبحرين الهالكة نحو الغرب لتكون مسيرة النجاة نحو الشرق ، وفجر الحب •

وهل يتحقق ذلك بغير التجدد ، التجدد في المنهج ، والتجدد في المادة ؟

إن خليفة الوقيان يحسب الهوى في دمه :«عالماً يتجدد» كما يقول في: «ثلاث رسائل »• ويبشر بهذا العالم المبحرين مع الرياح لعلهم يبحرون في بحار نفوسهم مع روح الحب •

ان افاق الغيرية ، والتحرر ، والتجدد ، تنتظر المبحرين مع الرياح اذا تحرروا من معية الرياح ، ونظروا إلى هذه الأفاق الخليفية من كوة الروح المحب فهل يتحررون؟

ليلى العثمان

وآفاق المرأة شموساً وغيوماً

بعض أعطيات البريد نعميات يقدرها من يعرفون كيف تصب النفس في الكلمة • الكلمة وعاء الملكوت فمن يعي ما تستوعبه الكلمات ؟

أما اذا كانت الكلمات همسات امرأة فانها سهام ضوئية تسحب كالبرق الخيال الى افاق فكر تتلون بالشوق والتوق والحب والخوف والثورة والسلام ••

طللت من شرفة منزلنا الجبلي في لبنان ، عندما فرغت من قراءة همسات •• على افاق ملونة من الفكر الكويتي في شعر ليلى العثمان •

همسات الشاعرة الكويتية تصور افاق المرأة كما تعرف المرأة الافاق •• وقلما نصادف جراءة امرأة تتحدث عن مشاعرها وتنقلنا الى شموس أفكارها وغيوم أسرارها •

في همسات ليلى شموس وغيوم :

من شموسها : الحب والفهم والايمان

ومن غيومها : الالم والخوف

أما شمس الحب فتسطع لتنير **افاق الصبية التائقة ، والزوجة العاشقة ، والام الرائقة ، والانسانة الواثقة ••**

وليت ليلى لم تخف ديوانيها : غدير الامل ، وصباي ، فقد يكون فيهما ما يساعد الدارس على ادراك **افاق الصبية التائقة** ، وربما كان في ديوانها الثالث : « أنا وأنت » ألوان تزيد صورة الصبية وضوحا •• فنحن نعرف كثيرا عن الصبية ، كما يتحدث عنها علماء النفس ، والشعراء ، والعشاق •• لكن الحديث من الصبية ذاتها يجعل المعرفة أوثق وأصدق •• ومع ذلك فان المتأمل يجد ألوانا من تلك الصبية • كما في قصيدة : « أكان حبك » •• أو : « غدا نصحو » •• أو : « الشيء الكبير » •• أو سواها من قصائد الحب ، وخاطراته ، وأفكاره ، وهمساته ••

أما الزوجة العاشقة ، فتقدمها الهمسات •• من المقدمة ، عندما بدأ زوجها يشجعها لتكون الاديبة الشاعرة، وهذا الذي لم يتوصل الى مداه الاب •• فكيف لا تعشق زوجا يسعى لتحقيق وجودها الاعلى بالفن •• وتظهر سعادة الزوجة في بيت الزوجية ، بأمثلة القصيدة التي سمتها : « عشنا » • فهي أغنية الفرح والعشق في بيت الزواج السعيد ••

أما الام الرائقة ، وأكاد أقول الفائقة ، فتقدمها أكثر من قصيدة ، لحظة الوداع • وأماه • وهما قصيدتان مختلفتان :

في الاولى تصور شعور الشاعرة الام عندما يغادرها صغارها في سفر •• وفي الثانية تصور شعور الانسانة اليتيمة تنادي أمها في عيد الام ••

وأما الانسانة الواثقة ، فتتجلى في المشاهد السابقة ، كما تتجلى في مشهد جديد صورته في قصيدتها « ضياع في لندن » • في هذه القصيدة لا تقف المرأة الشرقية متحسرة عندما تنظر الى المرأة الغربية ، بل تقف رائية لحالها ، فهي مسكينة كزورق محطم ممزق الشراع •• تعطي بلا قيود ، بلا حدود ، بلا قيم •• اذا أرادت أن تسد جوعها •••

والانسانة الواثقة تطل من زاوية أخرى ، غير زوايا الجسد ، انها تطل من زاوية الحرب في قصيدتها « استغاثة لاجئة » ، انها تستنهض الهمم العربية وتثق أن النهضة العربية تحت شمس الحب ، سوف تعيد كل دار وترفع فوق السحاب الرؤوس العربية الابية ••

أما شمس الفهم وشمس الايمان فتحرران الانسان من غيوم الالم وغيوم الخوف •• وأدلة ذلك في القسم الثاني الذي سمته : « مقتطفات » ••

في هذا القسم يشم القارىء طيوب التفكير الفلسفي والديني معا ، لكنها طيوب فكر امرأة • وهذا يعني أن الحب صميم الاشياء جميعا ، لان المرأة لكي تحيا ، تحتاج للحب والحنان والكلمة الحلوة •• كما تقول : « وأروع من الحب أن تجد الحبيب الذي يستحق هذا الحب » ، لانه يمنحها الثقة ، والثقة تصلها بالله ، لان القوة ، على حد تعبيرها ، مصدرها الثقة بالنفس •• والثقة بالنفس مصدرها الايمان بالله » •

نعميات من مواسم الحقيقة والمرأة تكشف في همسات ليلى العثمان على أشعة شموس الحب والفهم والايمان • انها ألوان من مواهب المرأة العربية المتفتحة ••

محمد القيسي

وآفاق الحب والحزن

بريد الفكر الكويتي يفتح كوى الى افاق المكان المختلفة : الى العراق وفلسطين وسواهما :

هذه : « رياح عز الدين القسام » ديوان شعر لمحمد القيسي ، طبعه في العراق ، وحمل به صورا من فلسطين ، وقدمه لي في الكويت ٠

هذه الرياح تحمل الى أفقي : الحب والحزن ٠

ومتى كان الحب والحزن أفقان للفكر ؟ هكذا يظنون ٠ الحب يأخذ في دروب الهزل ٠ والحزن يأخذ في دروب اليأس ٠

لكن ما يظنه الناس ويألفونه حتى يصير يقينا عندهم ، ليس دائما كما يوقنون ٠

فالحب حرارة عاشقة تبدع مناهج الحرية الخالقة(1)

والحزن نزوح الى مستوى جديد من الحياة يستنهض تلبية الحاجات الجديدة ، والحاجة أم الاختراع ٠

فأين « رياح عز الدين القسام » من ظنون الناس وتفكيري ؟

وأين « محمد القيسي » من وجهي الافق ؟

ان القيسي في قصائده أقرب الى الحب والحزن المحركين ايجابا ، فهو يقول « في انتظار الاغنية »

« ربما يمهلني الموت قليلا فأغني
لك يا قرآن حزني
انني أسمع ما ينقله الاعداء والعذال عني
فأغض الطرف لليوم الذي يأتي
ولا أسقط في المنفى ولا تدمع عيني
يمهلني الموت قليلا فأغني
أيها الحب أعني ٠٠ »

هنا حب وحزن ، لكن للحزن قرآنا ، وهذا يعني أن الحزن سيهدي صاحبه ، ويحفزه الى النجاح ، ولو كان في أرض المنفى ، فلن يسقط ولن تدمع عيناه ٠٠ بل يقرأ سور حزنه ويتأمل في أبعاد آياتها ، ليتغلب على كذب الاعداء العذال بجهاد صابر وصبر مجاهد ٠٠

أما الحب فمنابع عون وعيون رعاية ، انه يسكن في قلب الشاعر ويحركه ليل نهار ليغني أناشيد الغنى بكل معاني الغنى الروحي والمادي ، فرديا وقوميا ٠

قصائد القيسي قصائد حب وحزن ،

لكن حبه يتسع فيغمر حبيبته التي يخاطبها ، انسانة بكل أحوالها ٠٠ ويغمر فلسطين ، الحبيبة الوطنية، التي يتوق الى جمالها وجلالها ٠٠ ويغمر الصحراء العربية التي يحن الى يقظتها وامتدادها الحضاري من جديد ٠٠

واذا كان حزينا ، فلان محباته لا تتحقق الان ، لكنه ليس يائسا ، فهو يخترق الموت ، ويبعث عز الدين القسام بكل رياحه ، فليس الموت نهاية ، ان الموت بداية هبوب رياح الروح ، وهذا ما يحاول تأكيده في قصيدته : « عز الدين القسام جزء من حديث ذات ليلة باردة » يقول بلسان القسام العائد من الموت :

في الشارع والمسجد والبرية
عملي كان

محصورا ما بين الفقراء
يأتون الي صباح مساء
فأؤجج فيهم نار الحكمة
والموعظة وحب الأرض
أطعمهم من زاد القلب
وأقربهم من ملكوت الرب ٠٠
حتى يستيقظ فيهم شيء ما
حتى لا يقعوا ثانية في هاوية الاخطاء ٠٠

ان للحب وللحزن طقوسا في رياح القسام ، لكن هذه الطقوس رياح تدور باحثة عن روح اليقظة العربية ، والبحث عن اليقظة منهج لليقظة وطريق اليها ، لذلك يصل شعر القيسي بأفقين من افاق الفكر ، هما الحب والحزن ،

فهل نحول كل حب حرارة عاشقة تبدع منهجا لحرية خالقة ؟

وهل نحول كل حزن نزوحا الى عالم حاجة تدفع الى اختراع ؟

---

1 ـ هذه العبارة عنوان دراسة ألقيتها بصيغة محاضرة على طلاب الداسات العليا في بيروت ، وناقشت فيها « كتاب آن كولين » لجوزيف صايغ ، سنة ١٩٧٤ ٠

أحمد العدواني

وآفاق النفس في الولادة الجديدة

شعر أحمد العدواني يعرج بك الى افاق النفس ، فتبحث معه عن أسرار مشاهدها في ما يسميه : البحيرة الخالدة ، هند والزائر ، بين الصدى والطيف ، من أغاني الرحيل ، شطحات في الطريق ٠٠ الى غير ذلك من عناوين قصائده ٠

ان هجس العدواني هو الولادة الجديدة ، يقول في أغاني الرحيل :

رحلت عنكم لكي أحطم الاسوار
وأنشر الاسرار في ضوء النهار
وأشهد الحياة والكون بلا جدار ٠٠
رحلت عنكم ٠٠
لكي أمارس الحياة
في مغامرات ما لها نهاية ٠٠
أحس فيها نشوة الخطر ٠٠
تجعل للحياة عندي
ألف غاية وغاية
ما خطرت على بشر ٠٠
رحلت عنكم لكي تكون كل لحظة من عمري ٠٠
ولادة جديدة
تهبني تجربة اكمل
أجل يا سادتي أجل ٠٠
رحلت عنكم ، ولم أزل ـ أرحل ٠٠

هذه صورة من الهجس الشعري عند أحمد العدواني يجرب أن ينقل الى افاقها نفسه في ارتحال مستمر ، يتجاوز به جدران العادية والمألوف ٠ انه يبحث عن الاكمل : لذلك يجرب ويجرب ، ويلون مشاهد الحياة بغايات متنوعة وغريبة لا تخطر على قلب بشر ، انه يحترم الزمان ويغامر في المكان ليجعل كل لحظة من لحظات عمره «ولادة جديدة»

هذه الولادة الجديدة ، هي أفق العدواني الذي لا يحد ، انه يعرف أن ما لا يعرفه أكمل مما يعرفه ، ولماذا يرضى بالكامل اذا كان الاكمل ممكنا ؟

لذلك رحل عن دنيا الظل الى عليا الانوار ، ويرحل ، وسيظل مرتحلا نحو الاكمل ٠٠

وهذا الافق الشعري صورة للافق الفكري والروحي الذي يتفتح في صميم أحمد العدواني ، ويغامر لاظهار مشاهده في عباراته بكل قصيدة من قصائده ٠ يقول في بقايا رؤيا :

غرست غصن وردة في وهج النار
حتى اذا ما اشتد عوده
وألف الخطر
صار الى النجوم واستقر
وصار حقل أنوار
يا غصن وردتي ٠٠
قل لي ٠٠ ما الخبر
يا هل ترى ٠٠ عرفت بعض أسراري ؟

الصيرورة والتحول مشهدان من مشاهد الولادة الجديدة في شعر العدواني ، تصادفهما في قصائده ٠ كالبحيرة الخالدة ٠ وشطحات في الطريق ٠٠ وشعره اجمالا يدعو الى السمو بحياة الانسان ليكون انسانا عاليا : فيقول في الشطحات :

خذ من حياتك جانبا تسمو به
واترك هوان العمر للاعمار ٠٠
همم الذين على المجاهل أقدموا
ذهبت حياتهم بكل فخار ٠٠

فهل تقبل دعوة العدواني الى السمو بالنفس لمعرفة اسرارها والاستفادة من أنوارها ؟

عبد العزيز المنصور

وآفاق التطور والعلم

من افاق عبد العزيز محمد المنصور : التطور ، والعلم : وهما أفقان يتلازمان ٠

فالتطور بمعناه الايجابي ، يأخذ الى مشاهد الارتفاع لانه من القدرة على الطيران وتجاوز الجبال والوديان ، على مستوى المحسوسات وعلى مستوى المعنويات ٠

والتطور ارتفاع على أضواء علم تلمع أو تشرق فيكون الارتفاع متقطعا أو متصلا ، فالتطور أفق أساسه العلم ، وهذا يعني أن وراء كل انحطاط جهلا ٠

ان رسالة عبد العزيز المنصور ، التي سماها : **التطور السياسي لقطر في الفترة ما بين ١٨٦٨-١٩١٦ م ،** تصور مشاهد من افاق التطور والعلم ٠

فالعلم يتطلب اجتهادا وجهودا ، ويثمر معرفة جديدة لقضية ما ، ويلهم موقفا على ضوء تلك المعرفة ، وان مصادر الرسالة « المنصورية » ومراجعها تشهد لمؤلفها بالاطلاع الواسع على قضية متشعبة بين دول غربية ودول شرقية .

وكذلك تشهد لاجتهاد عبد العزيز وجهوده مادة رسالته التي عرضها في تمهيد وخمسة فصول وخاتمة .

جعل التمهيد أساسا للفصول ، فحدد موقع قطر الجغرافي ، وبسط أحوال سكانها وتكوينهم البشري ومواردهم الاقتصادية وحالتهم الاجتماعية والثقافية ، وأوضح القوى المحلية القطرية وحركات الامارة .. سعيا الى ايضاح الفصول التالية .

وسمى الفصول ، حسب الترتيب الذي عرضه ، **الفصل الاول** : انفصال قطر عن البحرين وتطور العلاقات بينهما ، **والفصل الثاني** : قطر وبريطانيا ، **والفصل الثالث** : قطر وعلاقاتها بالاتراك العثمانيين ، **والفصل الرابع** : قطر وعلاقاتها بامارات الخليج العربي ، **والفصل الخامس** : قطر وعلاقاتها بنجد .

ووضع بعد هذه الفصول ملاحق تعتبر وثائق مصدرية للدراسة .

لن أناقش هذا الباحث الشاب في تصميم رسالته ، هنا ، فمحل ذلك في مكان اخر مما أسميه : **رسالة الكتاب وكتاب الرسالة ، أو : الرسالة الانسانية في الرسائل الجامعية** .

أما هنا فأكتفي بالنظر الى الرسالة من الكوة التي ترفع الى أفقي : التطور والعلم .

ومشاهد هذين الافقين في الرسالة تتفتح عبر مقدمتها وفصولها وخاتمتها وملاحقها ومصادرها ، ففي كل ذلك معلومات ترتب بعلم يدعو الى التطور .

ففي الرسالة معلومات مرتبة عن صلات قطر بامارات الخليج العربي : الكويت والبحرين ، وأبي ظبي ، وبنجد والسعودية ، وبالدولة العثمانية ثم بريطانيا وهذه المعلومات الشاملة لامتدادات المكان تمتد في زمان ليس قليلا بالنسبة لدراس يتتبع **شخصية قطر السياسية** وهي تتكون في حوالي نصف قرن من الزمان .

ان علماء النفس والوراثة والاجتماع يقررون في مباحثهم ما يتطلبه تتبع شخصية الفرد ، وهو يتكون في فترة التكون ، من جهود وصبر .. فكيف اذا كان هذا التتبع لشخصية امارة كقطر ؟ وهذا ما فعله عبد العزيز المنصور ، مفردا ، في رسالته .

والتفتحات التطورية من هذا العلم تدعو الى أمرين جوهريين : الاول : على صعيد **الانسان** ، والثاني : على صعيد **الارض** .

فعبد العزيز يضيء في رسالته منابع الصلات بين قطر وأخواتها العربيات ، ويكشف أصول الخلافات ، فهي أصول أجنبية غالبا ، واذا كان فيها دوافع أنانية فقد نميت تلك الدوافع وأثيرت بغذاء أجنبي . وهذا يعني كثيرا لحاضرنا ومستقبلنا ، فهو يريد من دراسته العلمية أن تكون **دافعا لمنطقة الخليج العربي الى التقدم والازدهار** كما يصرح في المقدمة والخاتمة .

وفي صفحة عشرين من الرسالة يشير الى خيرات البحر من لؤلؤ وسواه ، ويشير الى المنازل الحقيقية لسكان قطر في تلك الفترة ، القوارب أكثر من أكواخ اليابسة ، وهذه الاشارة اثارة لعرب الخليج اليوم ، فرزقهم من اليابسة فليحبوا أرضها .. ان المحبة تدفع الى العلم وان العلم يرفع الى التطور ، وعبد العزيز المنصور في رسالته روح يحب أرض الخليج ومنها قطر ، ويحب الانسان الانسان ..

النتائج آفاق للاختبار والحضارة

— ١ —

ماذا يجني المتطلع من هذه الكوى ؟

تقول : يجني الاطلاع على افاق الفكر الكويتي ، أو على افاق من الفكر الكويتي وأقول : بل يصل الى نتائج تسعد وتبشر بخير كثير ، اليوم وغدا .

من هذه النتائج التي حملها الي « بريد الفكر الكويتي » بوادر بروق مؤنسة :

١ ـ وفرة المشتغلين بالفكر : من كويتيين أصلاء ، أو من أصلاء أستضافتهم الكويت ، فقد قرأت لاكثر من مائة مفكر وأديب ، في ميادين وفنون مختلفة .

٢ ـ نوعية الاشتغال بهذا الفكر : لا تزال في طور العرض والنصوص ، لكنها نوعية ملهمة ومشجعة على كل حال ، لان النصوص التي نقدم تحمل في ذاتها أصالة تتجدد في التعرف الى ولادة جديدة هي سمة الفكر الكويتي الاولى ..

٣ ـ حاولت في عملي أن أطبق **منهجي في القراءة** ، ومن أولى قواعده **مواجهة النصوص بذاتها والتنقيب عما بها من معادن الاصالة الانسانية** ، لان كل نص يحمل في ذاته همّ صاحبه ، وهذا الهم الانساني مهم للانسان ، ليعرف بماذا يأخذ وعما ينتهي ، وليتعرف الى الخير النافع الرافع ..

٤ ـ في هذا القسم من : « كوى الى افاق الفكر الكويتي » **طبقت المحاولة المنهجية على نصوص ثلاثين شاعرا ، وأربع شاعرات ، وفقيه ، ومؤرخ ، وناقدين** ..

— ٢ —

وأعطت المحاولة مواسم أهمها ثلاثة :

الموسم الاول : كان جنيه لي ، فعشرة هذا العدد من المتطلعين الى افاق النور تملأ المعاشر بالسرور ، كمن يطوف في جنينة ورد متنوعة في أصابيح ربيعية ، لا بد أن تمتلىء أردانه بالاطياب •• فشكرا لهؤلاء الذين طيبوا أيامي بطيوب أشواقهم وهمومهم ••

الموسم الثاني : لكل من يحب دخول جنائن الفكر والشعر ، فسيجد فيهـــا افـــاق : الايمان والدين(١) ، والجمال والمحبة(٢) ، والاصالة والتجدد(٣) ، والذاتية والغيرية(٤) ، والتراب والنور(٥) ، والعقل والحلم(٦) ، والامل والالم(٧) ، والارادة والكبرياء(٨) ، والحوار والحرية(٩) ، والحق والعفة(١٠) ، والقومية والوطنية(١١)

سيجد القارىء في هذه « الجنائن » الطبيعة وفصولها والانسان وأطواره ••

وهذا الوجود يؤنس الواجد ، لانه يجد نفسه في أفق ما من هذه الافاق ، فقد يكون عاشقا ويجد بين هؤلاء من يعبر عن أحواله •• وقد يكون مناضلا فيجد بينهم من يوقع له أناشيد حماسته ••

لكن الموسم الثالث ، يتجاوز هذه المتع الموقتة الى مستوى اخر من التوق الى تشييد حضارة عربية جديدة ، وسبيل ذلك ما فتحت عليه الكوى من افاق الفكر الكويتي ، فمن الممكن أن تجعل مدلولات هذه الافاق مواد منهج • يختبر ويطبق لتصيير الكلمة الراغبة عمل حضارة متقن ، ذلك حلم هؤلاء الاصدقاء ، كيفما عبروا عنه ، فهـل يجعل الحلم حقيقة ؟

— ٣ —

انني أحلم بسطوع تلك الشموس أكثر فأكثر ، في الكويت ، وفي الوطن العربي ، وفي العالم الاسلامي ، وفي الكون الانساني •••

والحلم معراج الحقيقة •••

وهذه ـ الكوى ـ عيون الحلم الى افاق من الفكر الكويتي ، سنصعد بها الى افاق جديدة في رحلة قادمة ••

بيروت ١٩٧٥/٩/١٩

---

١ ـ يلاحظ مثلا آفاق الحب والدين والطبقية في شعر كافية رمضان ، وافاق النور في خمس جهات من كتب خالد سعود الزيـــد

٢ ـ يلاحظ : أفق الجمال والنور في شعر رضا الفيلي ، وافاق الجمال والجلال في الطبيعة والتاريخ في شعر ناضل خلف •• وافاق المرآة شموسا وغيوما في شعر ليلى العثمان •• وافاق الحب والحزن في شعر محمد القيسي ، وافاق الجمال في الفكر والورد والروح والحق عند محمود شوقي الايوبي ••

٣ ـ يلاحظ مثلا : خليفة الوقيان ، وافاق الغيرية والتحرر والتجدد ، وعبد العزيز المنصور ، وافاق التطور والعلم ، واحمد العدواني ، وافاق النفس في الولادة الجديدة •• والشيخ يوسف القناعي ، وافاق الذوق المرئي في التجدد الموضوعي والتوزيـــع المجاني ••

٤ ـ يلاحظ : خليفة الوقيان أيضا ، عبد الرزاق البصير ، وافاق الشمول والالهام ، حسن المبارك ، وافاق التفرد والسر ••

٥ ـ يلاحظ : خالد سعود الزيد وافاق النور ، رضا الفيلي وافاق الجمال والنور ، محمد الفايز وافاق النور والطين والفكر ، عبد الصاحب الموسوي وافاق الحرف والنور ••

٦ ـ يلاحظ عبد الله حسين ، وافاق العقل والامل • عبد الله عبد الله الانصاري وافاق العلاج بالشعر العتيبي وافاق الحلم ••

٧ ـ يلاحظ : فاطمة العلي وافاق البشارة ، جميل علوش وافاق الالم والشوق ، محمد القيسي وافاق الحب والحزن ، توفيق شاهين ، وافاق الشكوى والعفة ••

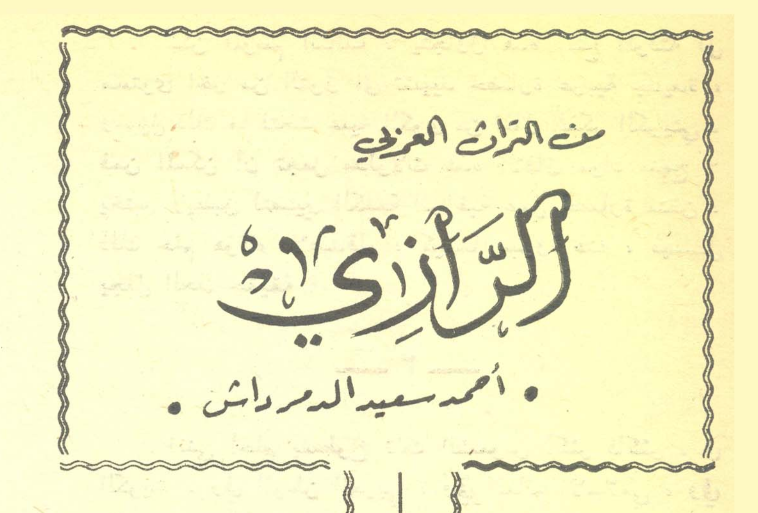
٨ ـ يلاحظ : يعقوب الرشيد وافاق الهوى في الكبرياء والالم محمد المشاري وافاق الارادة في البلدان والحيوان •

٩ ـ يلاحظ خليفة الوقيان ، ويعقوب السبيعي في افاق الحوار والاحتلال ، علي السبتي في افاق الاخر والاتي ، فهد العسكر وصراع الفصول في التقلب والتغلب ••

١٠ ـ يلاحظ : عبد المحسن الرشيد وافاق الحق والاطمئنان •• سعاد المبارك وافاق الرقة والكرامة ••

١١ يلاحظ : أحمد السقاف والافاق العربية ، عبد الله سنان وافاق التربية الاجتماعية علي الربيعي وافاق الانسانية في الخير والاخلاص خالد الفرج وافاق السياسة في صراع الغرب والشرق ، شريف ضميره وافاق فلسطين والدين ••

ان هذه الاشارات للتمثيل ، فقد نجد في اثار احدهم جميع هذه الافاق كما في اثار محمد حسن عبد الله وافاق المواهب ••



قول شائع معروف : كان الطب معدوما ، فأحياه جالينوس ، وكان الطب متفرقا فجمعه الرازي ، نفس القول ينطبق على محمد بن موسى الخوارزمي الرائد الاول لعلم الجبر والمقابلة ، فكما كان هناك طب بابلي وآشوري وهندي واغريقي وجاهلي بدائي ، ينتشر في مجتمع بين الرافدين ، في المدن وفي القرى وبين العشائر ، كان هناك حساب وجبر بابلي وهندي واغريقي يتجهان في اخدود مغلق في هذا المجتمع ، براعم ذابلة ، وأخرى نامية ، وثالثة ترهلت ، وعلوم متفرقة متنابذة لا نمط يجمعها ، ولا نظام يؤلف بينها !

جاء الرازي فرسخ صناعة الطب علما وعملا ، في دعائم وطيدة ، لبناتها الفكر العلمي الموضوعي ، فتزايد انتاجه وغزر مؤلفات تفوق المائتي كتاب نصفها ظلت المرجع الرئيسي لجامعات أوربا طوال ستة قرون أو تزيد ، فموسوعته « الحاوي في الطب » وكتابه « المنصوري » وغيرها ترجمت الى اللاتينية والقشتالية ولغات أخرى باسم مؤلفها الرازي كما كانوا يلقبونه في أوربا ، وباتت حجة الطب الاولى مع كتاب القانون لابن سينا ، لا ينازعهما الرازي وابن سينا عالم اخر من العالم المتحضر حتى القرن السابع عشر .

طريقتان للعلاج : اشتهرت بهما المجتمعات الاولى في الجاهلية عند العرب ، وفي البابلية في حوض الرافدين : تعتمد الاولى على الكهانة والعرافة ، وتعتمد الثانية على العقاقير نباتية كانت أو معدنية أو نفطية ، بالاضافة الى الكي والفصد والحجامة ، ومن أشهر المتطببين العرب في الجاهلية ابن حزيم حتى كانوا يقولون — أطبب من ابن حزيم — ثم الحارث بن كلدة الثقفي .

وعرفت في بابل طائفة من الكهنة الاطباء توفروا على الطب الباطني ، واشتهروا باسم — اشيبو — وبجانب هؤلاء كهنة توفروا على الجراحة ، وعرفوا اسم « آسو » يعالجون الجروح والقروح والكسور ولدغات الافاعي ، وبرع الاشيبو في العلاج بالاعشاب والمعادن .

ومن المعادن التي وصفوها استعمال الكبريت لعلاج الامراض الجلدية وأملاح الحديد والزرنيخ والزئبق والانتيمون (الاثمد) والنحاس ، وزيت النفط .

وقد نظم قانون حمورابي مزاولة مهنة الطب ، ثم الاتعاب التي يجب أن يتقاضاها المتطبب ، ووضع لها نوعين من الاجر ، أحدهما للاغنياء والاخر للفقراء ، كما قرر العقوبة التي توقع على الاطباء اذا ما أخفقوا ، من أهل صناعة اليد أي الجراحين ، ولم يجيء ذكر للباطنيين ، ولعل السبب في هذا أن الطب الباطني كان مقصورا مزاولته على الكهنة ، وللكهنة امتياز طبقي خاص .

وفي العصر الاموي اشتهر من الاطباء — ابن أثال — وكان طبيبا لمعاوية ابن أبي سفيان ، كان خبيرا بالادوية المفردة والمركبة وقواها ، ثم أبو الحكم وحفيده عيسى ومنهم ابن ماسرجويه الطبيب البصري في زمن عمر بن عبد العزيز ، وله كتاب في الاطعمة ومنافعها ومضارها ، وكتاب قوى العقاقير ومنافعها .

واشتهرت في أواخر عهد الامويين زينب طبيبة بني أود : يقول عنها ابن أبي اصيبعة « كانت عارفة بالاعمال الطبية » خبيرة بالعلاج ومداواة آلام العين والجراحات مشهورة بين العرب بذلك .

كان هذا في بلاد العرب والشرق الاوسط، أما في مصر فقد نشأ فيهما طب عظيم ، في جامعة الاسكندرية (٣٣٢ ـ ٣٣١ ق.هـ) • وتمتعت بسمعة طيبة كبيرة فكان يؤمها طلاب العلم من كل صوب ، فتخرج منها جالينوس واشتهر فيها علماء مثل هيروفيلوس الذي يعتبر رائد علم التشريح في العصور القديمة ، وأرسطوطس مؤسس علم وظائف الاعضاء •

يقول داود الانطاكي في تذكرته :

« ثم انتقلت الصناعة الى أيدي النصارى ، فاول من هذب المفردات اليونانيـة ونقلها الى اللسان السرياني دويدرس البابلي ، ولم يزد على ما ذكروا شيئا ، حتى أتى الفاضل المعرب ، والكامل المجرب ، اسحق ابن حنين النيسابوري فعرب اليونانيات والسريانيات ، وأضاف اليها مصطلح الاقباط، لانه أخذ العلم من حكماء مصر وأنطاكية، واستخرج مضار الادوية ومصطلحاتها ثم تلاه ولده حنين ففصل الاغذية من الادوية فقط ، ولم أعلم من النصارى من أفرد غير هؤلاء وأما النجاشعة فلهم من الكناشات ثم انتقلت الصناعة الى الاسلام ، وأول واضع فيها الكتب من هذا القسم الامام محمد بن زكريا الرازي ثم مولانا الفرد الاكمل والمتبحر الافضل الامثل الحسين بن عبد الله بن سينا رئيس الحكماء ، فضلا عن الاطباء ، فوضع الكتاب الثاني من القانون ، وهو أول من مهد لكل مفرد سبعة أشياء ، وأخل بالاغلب أما لاشتغال باله ، أو لعدم مساعدة الزمان له ، ثم ترادف المصنفون على اختلاف أحوالهم ، فوضعوا في هذا الفن كتبا كثيرة ، من أجلها مفردات ابن الاشعث وأبي حنيفة والشريف ، وابن الجزار والصائغ وجرجيس بن يوحنا ، وأمين الدولة وابن التلميذ وابن البيطار وأجل هؤلاء الكتب الكتاب الموسوم بمنهاج البيان ، صناعـة الطبيب الفاضل يحيى بن جزلة رحمه الله » •

عند الاغارقة قبل أبقراط القرن الخامس ق•م كان الطب احتكارا لآل يختيشوع منجنديسابور ، وكان ابقراط من أوصي بتعليم الطب للغرباء ، وفي العصر العباسي كان الطب احتكارا لآل يختيشوع بنجنديسابور ، وكان ابقراط يأخذ العهد على المستجدين في المهنة ، فيقول حسب رواية داود الانطاكي •

« برئت من قابض أنفس الحكماء وفياض عقول العقلاء ، ورافع أوج السماء ، مذكي النفوس الكلية وفاطر الحركات العلوية،ان خبأت نصحا أو بذلت ضرا،أو كلفت شرا ، أو تدلست بما يغم النفوس وقعه، ،أو قدمت ما يقل عمله اذا عرفت ما يعظم نفعه ، وعليك بحسن الخلق بحيث تسع الناس ، ولا تعظم مرضا عند صاحبه ، ولا تسر الي أحد عن مريض ، ولا تجس نبضا وأنت معبس، ولاتخبر بمكروه،ولاتطالب بأجر،وقدم نفع الناس على نفعك وأستفزع لمن ألقى اليك زمامه ما في وسعك فان ضيعتـه فأنت ضائع ، وكل منكما مشتر وبائع ، والله الشاهد » •

وقد كانت اليونان تتخذ هذا العهد درسا ، وهـو ما يطلق عليه قسم أبقراط ، ثم تطور تدريجيا في الدولة العباسية تطورا في الالفاظ بما يتناسب والتعبيرات الاسلامية وفي العراق الملكي تغيرت الصيغة مرة أخرى ، وفي العـراق الجمهوري ارتدى ذلك القسم اهابا جديدا بعبارة موجزة واقتصاد من كلمات المحتوى ، وهذا نصه :

« أقسم بالله العظيم ان أودي واجبي ، وأحترم تقاليد مهنتي ، وأتقي الله في معاملة مرضاي ، فلا أؤذي عن قصد ، ولا أعتدي على عرض ، ولا أفشي سرا ، وأن أكون برا باساتذتي حسن السيرة مع زملائي مخلصا لامتي ووطني » •

وألغي هذا القسم في عام ١٩٦٧ وحل محله القسم التالي :

« أقسم بالله العظيم وبمقدساتي أن أكون وفيا لمن علمني هذه المهنة ، عطوفا على المرضى ، مؤثرا مصلحتهم، وأن لا أفشي سرا لمريض ، ولا أعطي دواء بقصد الاضرار، وأن أكون حسن السيرة مع زملائي ، مخلصا لامتي ووطني»

تاريخ الرازي

يكاد يجمع المؤرخون بالاشادة بالرازي الطبيب ، فابن النديم صاحب الفهرست يقول أن أبا بكر محمد بن زكريا الرازي كان « أوحد دهره وفريد عصره ، أما ابن القفطي فيقول انه « طبيب المسلمين غير مدافع » بينما يسميه ابن أبي اصيبعة « جالينوس العرب » •

ويقول البيروني عن الرازي انه كان دائم الدرس شديدا لاتباعه ، يضع سراجه في مشكاة على حائط يواجهه، مسندا كتابة اليه كيما اذاغلبه النعاس سقط الكتاب من يده فأيقظه ليعود الى ما هو عليه •

ولقد درس الاستاذ الدكتور محمد كامل حسين مدير جامعة عين شمس السابق ووكيل الجمعية المصرية لتاريخ العلوم التي تشرف بعضوية مجلس ادارتهـا وأمانـة

صندوقها، نقول لقد درس الرازي الطبيب دراسة موضوعية من خلال رسالة الدكتوراه التي حصل عليها الزميل الدكتور البير زكي اسكندر من تحقيق كتاب المرشد أو الفصول للرازي ، ووصل الى النتائج التالية :

« اذا أردنا أن نجمل الصفات العلمية للرازي اجمالا يبين مزاياه وضعفه ، لم نجد خيرا من وصفه انه كان أستاذا وكان طبيبا ممارسا ناجحا ، وفي هاتين الناحيتين تتلخص حياته العلمية ·

كان أستاذا فكان عليه أن لا يخرج خروجا صارخا على أسس العلوم الطبية كما عرضها أهل زمانه ومن سبقهم، وأساتذة الطب لا يرون من واجباتهم أن يتوروا على النظريات الطبية القائمة ، ولا أن يقدموا للناس نظريات جديدة حتى يصقلها الزمن ويتبين خطوءها أو صوابها، وكان الرازي كغيره من الاطباء العرب ، يؤمن ايمانا راسخا بالطب اليوناني لا يقبل الجدل ، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يعترض على بعض آرائهم ، يفندها تفنيدا قد يكون أحيانا قاسيا عنيفا ·

وكان عليه ـ من حيث هو استاذ ـ أن يشرح ويفسر ما في الكتب ، وأن يجعلها أقرب الى الطلاب وأيسر فهما ، وكان عليه أن يبين لطلابه كيف يتقنون هذه الصناعة ، وكان عليه أن يبين رأيه في محنة الاطباء) امتحانهم) ، وأن يهديهم الى ما يعينهم في ممارستهم العلاج ·

أما عنايته بتفسير الكتب وشرحها فيدل عليه قوله في أول كتاب الفصول :

«دعاني ما وجدت عليه فصول أبقراط من الاختلاط وعدم النظام والغموض ، والتقصير عن ذكر جوامع الصناعة كلها أو جلها ، وما أعلمه من سهولة حفظ الفصول وعلقها بالنفوس ، الى أن أذكر جوامع الصناعة الطبية وجملها على طريق الفصول ·· ليكون مدخلا الى الصناعة وطريقا للمتعلمين » ·

ويذكر عبد الحميد العلوجي في مؤلفه « تأريخ الطب العراقي » أن الرازي كان من الائمة في صناعة الطب ، ولد في الري سنة ٢٥١ هـ ـ ٨٦٥ م ونشأ وتعلم فيها · وكان في بدء أمره صانعا ، ثم اشتغل بعلم الاكسير، وسافر الى بغداد بعد سن الثلاثين ، وعكف على الطب فنبغ واشتهر فيه · وكان عارفا بطب الاغريق وفارس والهند ، وكان الى جانب ممارسته الطب والى جانب التأليف في الطب ، يدرس الطب لتلاميذه ، وكان بارا بالناس حسن الرأفة بالفقراء ، وأصيب بنزول الماء في عينيه حتى عمى ومات سنة ٣١١ هـ ـ ٩٢٣ م في بغداد

ويقولون عن الرازي أيضا أنه منذ صباه كان مولعا بالغناء ماهرا في الموسيقى ، وكان يعزف على العود بمهارة ولكنه لما التحى وجهه قال :

« كل غناء يخرج بين شارب ولحية لا يستطرف »

وكان الرازي في شبابه مكبا على دراسة الادب ، وكتابة الشعر ودراسة الفلسفة ، ومن المحتمل أن معلمه فيها هو الحكيم أبو الحسن علي بن ربن الطبري صاحب فردوس الحكمة وغيره من التصانيف ·

عين الرازي رئيسا لاطباء مستشفى الري فخدم فيه يساعده عدد من زملائه وتلاميذه ، وكان يفحص المريض قبل ادخاله المستشفى من قبل طبيب الخفر ، فاذا رأى هذا فيه ما فحص عليه أمره ، عرضه على مساعدي الرازي فاذا التبس عليهم الامر رفعوه الى الرازي نفسه ، ثم عين الرازي بعد ذلك طبيبا لمستشفى بغداد الكبير ·

قال بعضهم ان الرازي كان في جملة من اجتمع على بناء البيمارستان العضدي ، وأن عضد الدولة استشاره في الموضع الذي يجب أن يبنى فيه المارستان ، وأن عضد الدولة لما بنى البيمارستان العضدي المنسوب اليه قصد أن يكون فيه أفاضل الاطباء وأعيانهم فأمر أن يحضروا الاطباء المشهورين حينئذ لبغداد وأعمالها ، فكانوا متوافرين على المائة فاختار منهم نحو خمسين بحسب ما علم من جودة أحوالهم فكان الرازي منهم ، ثم اختار من الخمسين عشرة فكان الرازي منهم ، ثم اختار من العشرة ثلاثة فكان الرازي منهم ، ثم ميز بينهم فبان أن الرازي أفضلهم فجعله ساعور البيمارستان العضدي أي رئيس أطباء المستشفى ، وقد ذكر بعض الباحثين في سيرة الرازي أنه لما ذاع صيته استدعاه عضد الدولة ليكون رأس الاطباء في بغداد ·

ومن الواضح أن الرازي وقف جزء كبيرا من وقته على دراسة الكيمياء ، فقد ذكر البيروني واحدا وعشرين من مؤلفاته في الصنعة ، وقد طرق فيها بابا جديدا ، فكان أول من استخدم المستحضرات الكيماوية في العلاجات الطبية، وربما كانت الكيمياء أيضا أحد موارد رزقه ، فمن قوله :

« أنا لا أسمى فيلسوفا الا من كان قد علم صنعة الكيمياء ، لانه قد استغنى عن التكسب من أوساخ الناس ، وتنزه عما في أيديهم ولم يحتج اليهم » ·

وأكبر الظن أنه قصد من قوله هذا ان الفيلسوف

الذي لا يملك موردا للرزق له أن يحترف الصنعة حتى يعتمد في كسب عيشه على نفسه ، فيحتفظ بحرية الرأي ·

ومات الرازي في سن الستين تاركا وراءه ثروة علمية طائلة ، فبلغت مؤلفاته ما يقرب من المائتي كتاب في شتى الفنون ، كالطب والطبيعيات والمنطق والفلسفة والكيمياء وغيره ، وكانت ينابيعه العلمية اغريقية وفارسية وهندية واسكندرانية (مصر القديمة) ولكنه أضاف الكثير من تجاريه وخبرته فانعم للطب سجلا ، ثم اتبع سجلا ·

مؤلفاته الطبية

يتبين لنا من دراسة كتب الرازي أنه ألف موسوعة طبية سماها « الجامع « وقد استغرق تأليف ذلك الكتاب ـ كما يقول الرازي ـ خمس عشرة سنة واصل فيها المؤلف العمل الليل بالنهار ،مما أدى الى ضعف بصره واصابته بمرض عضال في يده اليمنى ، فمنعه ذلك من القراءة والكتابة ، ولكنه استمر في الدرس والتحصيل بمساعدة تلاميذه المخلصين الذين تطوعوا للقراءة عليه والكتابة له·

وكتاب الجامع يخالف كل الاختلاف شبيهة في الاسم كتاب « الحاوي » وكان يظن أن « الجامع » « الحاوي » اسمان مترادفان لكتاب واحد ، والواقع ان كتاب الجامع مكون من اثني عشر جزءا ، ولم يعثر الا على جزئين فقط من أجزاء هذا الكتاب محفوظين فيمخطوط بمكتبة بودليانا·

أما الحاوي فهو مذكرات الرازي الخاصة ، التي جمعها تلامذته بعد وفاته وأصدروها في خمسة وعشرين جزء ، وهذه المذكرات حافلة بالنقد العلمي لكتب الاطباء الذين سبقوه وان مؤرخيالطب يحيون هذه الشجاعة العلمية في الرازي ، ويقدرون اعتداده برأيه ، ففي القرن الرابع الهجري كانت كتب أبقراط وجالينوس دستورا يؤمن به الاطباء ، فكانت كلمة قال « أبقراط » أو قال « جالينوس » كافية لقبول القول دون البحث فيه أو التشكك في صحته ، ولما اكتشف علماء الغرب ما جاء في مذكرات الحاوي من علوم مفيدة اقبلوا على ترجمتها الى اللغة اللاتينية فترجمها فرج بن سالم في جزيرة صقيلية سنة ١٢٧٩ م ، بناء على طلب الملك « شارل دانجو » واستغرقت الترجمة جل حياة المترجم ، وطبع هذا الكتاب أكثر من مرة ، فمنها طبعة « بركسيا سنة ١٤٨٦ » وطبعة « البندقية سنة ١٥٤٢ » ·

أما كتاب الجدري والحصبة فيعتبره العلماء أنفس الكتب الطبية التي صنعها العرب ، وترجم هذا الكتاب الى لغات عديدة وظهرت له طبعات كثيرة ، فهناك ترجمة يونانية طبعت سنة ١٥٤٨ م وطبعات أخرى لاتينية من سنة ١٤٩٨ الى سنة ١٧٨١ م وظهرت له ترجمة فرنسية سنة ١٧٦٢ م ·

وكان لكتاب المنصوري في الطب شهرة فائقة ، وترجم أيضا الى اللغة اللاتينية ١٤٨١ ، ١٤٩٧ ، ١٥١٠ ، ١٥٤٤م والجزء التاسع من هذا الكتاب وهو عن الحميات كان يدخل في صلب المنهاج في جامعات أوربا ، فمثلا كان عميد كلية الطب بجامعة مونبليه يحاضر في سنة ١٥٥٨ م من هذا الكتاب ·

وكانت ترجمة كتاب المنصوري للرازيعلى يد الطبيب شمطوب سنة ١٢٦٤ م في مرسيليا حافزا قويا الى النهضة الطبية عند العبرانيين استكمالا للترجمات الاخرى التي قام بها المترجمون اليهود فقد ترجم موسى بن صموئيل بن طبون الذي نبغ خلال ١٢٤٠ ـ ١٢٨٣ م كتاب (الاقرباذين) للرازي ، ومن أمهر المترجمين لكتاب المنصوري أيضا جيراردو دي كريمونا المولود حوالي سنة ١١١٤ م والمتوفي في طليطلة سنة ١١٨٧ م ثم كتاب التقسيم والتشجير ، والمدخل الى الطب وسرالصناعة الذي ترجمه بعنوان الاسرار وكلها من مؤلفات الرازي ·

وظل الرازي الى القرن السابع عشر حجة الطب في أوربا بلا مدافع ، حتى أنه استأثر في مطلع القرن العشرين باهتمام المؤتمر الطبي الدولي السابع عشر الذي عقد في لندن سنة ١٩١٤ م عندما عرض رانكنك حياة ومؤلفات هذا الطبيب العربي النابه على المؤتمرين هناك ·

وللرازي كتاب قيم هو كتاب « تقسيم العلل » وهو لازم لكل من اشتغل بترجمة الاصطلاحات الطبية القديمة فهو بمثابة قاموس طبي وتوجد منهثلاثة مخطوطات ·

واليكم أسماء بعضكتبه التي تدل على خبرته الواسعة بشؤون الطب :

كتاب الشكوك والمناقضات التي في كتب جالينوس ·

كتاب في الاسباب المحيلة لقلوب الناس عن أفاضل الاطباء الى اخسائهم ·

كتاب في التلطف في ايصال المريض الى بعض شهواته

كتاب في العلة التي يذم لها بعض الناس وعوامهم الطبيب وان كان حاذقا ·

كتاب في ان الطبيب الحاذق ليس هو من قدر على ابراء جميع العلل فان ذلك ليس في الوسع ·

رسالة في العلة التي من أجلها صار ينجح جهال الاطباء والعوام والنساء في المدن ، في علاج بعض الامراض أكثر من العلماء ، وعذر الطبيب في ذلك ·

ادعياء الطب كما وصفهم الرازي :

في النص التالي ، وهو مأخوذ من كتاب المنصوري في الطب ويبرز لنا المؤلف صورة حية لانواع من حيل أدعياء الطب في عصره ، فتراه يحذر العامة من هؤلاء المحتالين • الذين يضرون المرضى بعلاجاتهم الخاطئة ، ولا يأتون الا الحيل والالاعيب ، ويكشف عن عدد غير قليل من حيلهم الكثيرة خشية الوقوع في حبائلهم الملتوية ، واليكم بضع مقتطفات من مقال الرازي :

ان مخاريق هؤلاء كثيرة ، يضيق عن ذكرها كتابنا هذا بأسره ، فان منهم من يزعم أنه يبرىء من الصرع •• بأن يشق وسط الرأس شقا صليبيا ، ثم يخرج أشياء قد أعدها معه بوهم بخفته وتمويهه أنه أخرجهامن ذلك الشق•

ومنهم من يوهم أنه يخرج من الانف « سام أبرص » فيدخل في أنف المعالج الشقي خلالة أو حديدة ويحكه حتى يدميه ، ثم يشيل من هناك أشياء قد أعدها معه على شكل هذه الدابة ، متخذة من عروق الكبد •

ومنهم من يوهم أنه يرفع البياض من العين رفعا فيدخل في العين حديدة ، ينكأها ثم يدس فيها غشاء رقيقا ويخرجه من هناك •

ومنهم من يوهم أنه يمص الماء من الاذن ، فيضع عليها أنبوبة ، ويرسل من فمه شيئا فيها ، ثم يمصه •

ومنهم من يدس الدود المتولد في الجبن في الاذن ، وفي أصول الاضراس ، ثم يخرجه من هناك •

ومنهم من يوهم أنه يخرج الضفدع من تحت اللسان•

وأما دسهم العظام في القروح وتركهم لها فيها أياما فما أكثر ما يفعلونه •

وربما أخرجوا من المثانة حصاة ويدبرون هناك اخرى ، وربما لم يستيقنوا عند جس المثانة ان فيها حصاة فاقدموا على شقها ، فان أصابوا حصاة أخرجوها وان لم يكن هنا حصاة دسوا فيها حصاة ثم أخرجوها •

وأما قطفهم نجم المقعدة على أن فيها بواسير ، فشيء لا يزالون يفعلونه ويولدون على الناس بذلك قروحا ونواصير بالحقيقة •

ومنهم من يزعم أنه يخرج الخام من الذكر ، أو من موضع آخر من الجسد ، فيشرط الموضع أو يضع على رأس الذكر انبوبة ، ثم يمصها مرات ويرسل من فمه فيها شيئا وبصبه من هناك في الطست •

ومنهم من يزعم أنه يجمع الداء الى موضع واحد من الجسد ، ثم يخرجه من هناك ، فيدلك ذلك الموضع بالكبيكج فيهيج فيه حكة شديدة ، ثم يسأل أجره على اخراجه ذلك الداء من ذلك الموضع واذا أعطاء قسخة بالدهن سكنت الكحكة •

كل هذا كان يحدث في عصر الرازي وفي كل عصر تكثر فيه الجهالة •

ومثل هذا القبيل كان يحدث بين الذين يدعون الصيدنة في زمن المأمون : فقد كان (يوسف لقوة) الكيماوي يدخل على الخليفة المأمون كثيرا ويعمل بين يديه فقال له يوما : ويحك يا يوسف ، ليس في الكيمياء شيء ، فقال بلى: يا أمير المؤ منين ، وانما آفة الكيمياء الصيادلة ، فقال المأمون : ويحك ، وكيف ! فقال : يا أمير المؤمنين ان الصيدلاني لا يطلب منه شيء من الاشياء كان عنده أو لم يكن الا أخبر بأنه عنده ودفع الى طالبه شيئا من الاشياء التي عنده وقال هذا الذي طلبت • فان رأى أمير المؤمنين أن يضع اسما من الاسماء لا يعرف وتوجه الى جماعة من الصيادلة في طلبه لابتياعه فليفعل •

فقال المأمون : قد وضعت الاسم وهو (شفطيثا) (اسم ضيعة من الضياع بقرب بغداد) ، فسير المأمون جماعة الى الصيادلة يسأله عن شفطيثا ، فكلهم ذكر أنه عنده وأخذ الثمن ، ودفع شيئا من حانوته فصاروا الى المأمون بأشياء مختلفة ، فمنهم من أتى بقطعة حجر أو بقطعة وتد ، ومنهم من أتى ببعض البذور فاستحسن المأمون نصح يوسف لقوة •

كان هذا أول امتحان للصيادلة في زمن المأمون •

أما امتحان الاطباء فكان يجري في كل عصر من العصور ، فمن الذين اهتموا بكيفية امتحان الطبيب كل من جالينوس الاسكندراني ويوحنا بن ماسويه ، وحنين بن اسحق العبادي ، وأبو بكر الرازي •• فابن القفطي يروي في ذلك الصدد أنه « في سنة تسع عشرة وثلثمائة اتصل بالمقتدر أن رجلا من الاطباء غلط على رجل فمات ، فأمر أبا بطيخة محتسبه بمنع جميع الاطباء الا من امتحنه «سنان» وكتب له رقعة بما يطلق له التصرف فيه من الصناعة ، وأمر سنانا بامتحانهم وأن يطلق لكل واحد منهم ما يصلح أن يتصرف فيه من الصناعة ، وبلغ عددهم في الجانبين من بغداد ثمانمائة ونيفا وستين رجلا ، سوى من استغنى عن امتحانه باشتهاره بالتقدم في الصناعة ، وسوى من كان في خدمة الخليفة •

كتاب محنة الطبيب :

وتعيينه للرازي

حققه الزميل الدكتور البير زكي اسكندر من مخطوط بمكتبة بودليانا باكسفورد ومخطوط آخر بمكتبة الجامعة بكمبردج ، يسهب الرازي في هذا الكتاب في وصف محنة الطبيب وفي كتاب ان الطبيب الفاضل يجب أن يكون فيلسوفا وكتاب أجزاء الطب وكتاب أيام البحران ثم ينقل فقرات من كتاب ابقراط في الطب القديم ومن كتب اليهودي أي ماسرجويه ، ويوحنا بن ماسويه ويختتم هذه المقتطفات مبديا رأيه الخاص حيث يتفق مع جالينوس الاسكندراني في تحديد خطوات الامتحان مبتديا بالجزء النظري ، ومتبوعا بامتحان في الجزء العملي اذا نجح الطالب من الجزء النظري ، أما من يرسب في هذا الجزء فلا داعي لاكمال امتحانه يمتحن فيها الطالب ، فيذكر علوم الفلك والتشريح ، وتشريح الاحياء ، والصيدنة ، ولكنه حينما يسجل رأيه الخاص يرى أن الصيدنة من المواد التي يجمل بالطبيب الالمام بها وقراءتها وقت الفراغ ، ولا يمكن اعتبارها جزءا من أجزاء الطب ، ويشير الى أن الطبيب يمكنه أن يمارس مهنته حتى ولو جهل صفات الادوية وخواص الاعشاب ، وأما معرفة أفعال هذه في الجسم فأمر لازم لا بد منه ، وجزء لا يتجزأ من المنهاج الطبي ، ويقدم بعد ذلك طائفة من الاسئلة التي يرى أن ينهج المتحنون على منوالها ، ويهاجم أسئلة تافهة مؤكدا أن الممتحنين أنفسهم لن يقدروا على اجابتها ، ولو أنهم أسهبوا في كتبهم في ذكر أمثال هذه الامور التي لا نفع ولا طائل وراءها فمثلا يقول :

لماذا يسأل الطالب في التمييز بالنبض بين الذكور والاناث ، أو بين الصبيان والرجال والنساء والخصيان ؟ ولماذا يسأل الطالب في التمييز بين أبوال الحيوانات ، والمياه المشابهة لها لونا ؟ وان التمييز بين هذه يكون بحاسة الذوق أو الشم ، وعادة لا يشم الطبيب البول ولا يتذوقه، فكيف نلومه ان هو أخطأ في الحكم بينها معتمدا على حاسة البصر !

ان مهنة الطبيب ترمي الى ما هو أشرف من هذه الامور الرخيصة ، والاسئلة الهامة عن البول تتلخص في الحكم على أنواع العلل من مظاهر الابوال المختلفة : كأنواع الرسوب وأصناف قوام البول ، وألوان البول ، وشفوفته أو عكارته ، وماتدل عليه كل واحدة من هذه من الاستدلال على الاعضاء المصابة ، ومن المهم أن يكون الطبيب عارفا بالبول : ما هو ؟ ومن أين يأتي ؟ وكيف يتلون ؟ وأما في النبض فيجب أن يكون ملمة تمام الالمام بخصائص النبض الطبيعي ، فيميز بين النبض الطبيعي فيميز ويعرف الصلب من اللين .

ويعتبر الرازي امثال هذه الاسئلة في البول والنبض عاملا محددا في منح الاجازة العملية ، ثم ان هناك اسئلة اخرى عن النبض من الاجابة عليها يظهر فضل الطبيب وامتيازه ومدى خبرته العلمية ويوصي الرازي بضرورة الامتحان في علاقات الامراض المتشابهة التي كثيرا ما يختلط على الطبيب تشخيصها كوجع القولون وأوجاع الكلى، ثم الاسهال الناتج عن مرض الكبد ذات الجنب وذات الرئة، ثم الاسهال الذي سببه قروح الامعاء وأصناف نفث الدم وهلم جرا .

ويوصي بالامتحان من نظريات الامزجة والاخلاط ، وكطبيب اكلينيكي محنك لا يغفل امتحان الطبيب من أنواع الحميات البسيطة والمركبة ، وفي أصناف الحميات . وفي علاقات الامراض وفي هيئة الاعضاء في حالات الصحة والمتغيرات التي تطرأ عليها من الامراض ، وفي أزمان الامراض ، وفي البحران وأيامه وفي تدبير المريض وطريقة تغذيته ، ويصرح بأن علاج المريض بالادوية والعقاقير مع تجنب اجراء الجراحات اذا أمكن ، لدليل على فضل الطبيب وعلمه .

ويميز الرازي في كتابه طريقة امتحان أصحاب القياس من طريقة امتحان أصحاب التجربة ، فيقرر ان امتحان أصحاب القياس يجب أن يكون بتدقيق أكثر من الناحية النظرية ، ويشتمل على أسئلة في الجدل والكلام والحجاج ، وعلى أسئلة في المنطق وفي العلوم الطبيعية ، وعلى ذلك فالرازي يرى تشييد جرح الطب على أساس متين من الفلسفة الاستقرائية فيسبق علماء الغرب في هذا المضمار بقرون عديدةويعتقد أنأصحاب القياسوالنظريات قد يكونون معرضين للخطأ أكثر من أصحاب التجربة ، ويؤازر الرازي أصحاب التجارب حينما يقرر تعيين أحدهم اذا اضطر الى تعيين طبيب واحد ، ولم تتوافر الصفات المطلوبة في طبيب القياس ، واذا توافرت الصفات فهو يرى أن يعين لرسم سياسة الطب في المارستان طبيبان : أحدهما طبيب قياس والاخر طبيب تجربة .

الرازي الكيميائي

الكتاب الوحيد الذي وصل الينا من تأليف الرازي في الكيمياء هو كتاب «سر الاسرار» نسخة مسعود المارديني سنة ٥٨٧هـ اما المخطوط الذي حققه وترجمه الى اللغة الروسية المستشرق الروسي كاريموف فتأريخه ٩١٢هـ ، وقد نشرته اكاديمة العلوم بطشقند عام ١٩٥٧م ، قال الرازي في مقدمته :

« ان الذي دعاني الى تأليف هذا الكتاب مسألة شاب من تلاميذي من اهل نجارا يقال له محمد بن يونس عالم بالرياضيات والعلوم المنطقية والطبيعية ممن كثرت خدمته لي ، ووجب حقه عندي (فسألني) بعد فراغي من الكتب الاثني عشر في الصناعة والرد على الكندي ومحمد بن الليث ومن صناعة الرسائل الملوكية ان اجمع له شيئا من اسرار علم الصناعة ليكون له اماما يقتدي به ودستورا يرجع اليه ، فألفت له كتابي هذا وأتحفته بما لم أتحف به احدا من الامراء والملوك ، وبينت له من علم الصناعة مايستغني به عن جميع كتبي في هذا المعنى ٠٠ وسميته بكتاب الاسرار يرتفع به الاجساد بما اودعته فيه من التدابير درجة درجة على رأس الكور فبلغ مراده بأهون التدابير والله الموفق لما نويناه وأليه الرغبة في اتمام ما قصدناه انه المنان ٠

فحرام من وقع كتابنا ان يفسره لمن ليس منا ، أو يطلع العامة على مافيه او فاسقا وسم نفسه بأسمنا وأدخله في جملتنا ويزينه بعلمنا ، وقد شرحت فيه ماكتمته الحكماء والفلاسفة القدماء مثل اغاذيموس وهرمس وأفلاطون وجالينوس وغيرهم من الحكماء ٠

ويشمل المخطوط على تسعة ابواب هما :

١ ـ عمل الفضة احمرا داخلها وخارجها

٢ـ باب تحليل الزئبق وعقدة

٣ـ باب تزييد الذهب

٤ـ صبغ الشبه ذهبا ، حيث يقول ان الشبه نحاس أصفر باطعام التوتياء المدبر بالحلاوات وغيرها ، حتى أشبه بالذهب حتى يسمى شبها ٠

٥ـ باب التكليس ، ويقول عنه انه يكون في الاجساد والاحجار والاملاح والقشور والاصداف وهي بتزييد اجسامها ، حرق مافيها من الكباريت والادهان ويصيرها نورة بيضاء لاجزء لها ٠

٦ـ باب التحليل

٧ ـ باب التصعيد

٩ـ باب التشميع

٩ـ باب تحليل الزئبق حيا

والمخطوط يقسم المواد الى :

١ ـ أرواح مثـــل الزئبق والزرنيخ والنوشادر لانها تفر من النار

٢ ـ أجساد مثل الذهب وباقي الفلزات كالرصاص القلعي والحديد والنحاس والفضة والخارصين والاسراب

٣ـ أحجار مثل المغنيسـيا والمرقسيثا والدهنج واللازورد والجبسين **والطلق والزجاج ، والاخير يقول عنه** بأنه يتخذ من الرمل والقلي وأجوده الشامي الابيض الصافي **الذي يحاكي البلور في الصفاء ، أما الكحل فهو يصفه** بأنه ليس بحجر حجري ولكنه جوهر الاسراب (أو حسب التعبير الكيميائي الحديث جالينا او كبريتيد الرصاص)

٤ـ الزأجات مثل الشب والزج الاسود والقلقندس والقلقطار والقلقند

٥ـ البورق مثل النطرون وبورق الصاغة والتنكار والبورق الزاراوندي

٦ـ الاملاح مثل الملح الطيب والملح المر والطبرزد وملح القلي وملح النورة وملح البول ومن هذه المركبات الترابية المذكورة ومـن المصادر النباتية مثل الاشنان السبحني والمصادر الحيوانية مثـل الشعر والقحف والمارة والـدم واللبن والبول والدماغ ، من كـل هذه الاصناف بمفردها او مركبـة مـع غيرها يمكن انتاج العقاقـير الصيدلانية بأستخدام الالات والمعدات وهي نوعان :

١ ـ نوع لتذويب الاجساد مثل الكور والمنفاخ والبوطقة والبوطة والمفرقة والماسك والمقطع والمكسر والمبـــرد والمسبكة ٠

٢ـ نوع لتدبير العقاقير مثل القرع والانبيق والقابلة والاثال والقـدح والقنينة والقارورة والمرجل والقدور والتنور والموقد والاتون والكانوت ونافخ نفسه والمهراس **والدرج والكرة والمقلاة والقمـع والمنخل وراووق مـن خيســـن والقنديل ٠**

اما معـرفة التدابير في العمليـات الكيميائية التي تستخدم لتحضير العقاقير فكانت تنحصر في :

١ـ التنظيف : وهذاله وسائل مختلفة منها :التقطير والاستنزال والتشويه والطبخ والتلفيم والتصعيد والتكليس والتصدية

٢ـ التشميع

٣ـ الحل والتحليل

٤ـ العقد

فلا غرو ـ بعد ذلك ـ انا اصبح الطب مدينا للعراق بعقاقير كثيرة كالسليخة والسنالمكي والراونـد والتمر الهندي وجوز القيء والقرمز والكافور والكحول وهو مدين

لصيادلة العراق بفن الصيدلة وبكثير من المستحضرات التي لاتزال تستعمل كالاشربة واللعوق واللزقات والمراهم والدهان والماء المقطر .

ومن جهة اخرى نود ان نذكر النص التالي من المخطوط ، وهويشير الى عملية صناعية في تحضير سبيكة من النحاس والفضة والذهب كما يفعل الصياغ المهرة ، وهو كالاتي بلفظه :

والآن نذكر في بدء عمل تعجيل المنفعة في الفضة مما يسرع عملها ذهبا ، ثم تردها اذا اراد كما كانت اولا بضد ذلك التدبير ، فمن ذلك عمل الفضة احمرا داخلها وخارجها ومكسرها ومحكها وسبكها لايتغير ابدا ، ثم اذا شيت رددتها الى حالته الاولى بضد ذلك التدبير ،وذلك انك تأخذ نحاسا ما شيت ثم ألقه في بوطقة ، فاذا دارفأطعمه الكبريت الاصفر أبدا حتى يحترق ويصير هباء ، ثم أخرجه واسحقه حتى يصير غبارا ، وانخله وارفعه ، فاذا أردت العمل به فخذ منه بوزن الفضة ، والحقها به في بوطقة أسفل الفضة وفوقها ، ثم اسكبها وصبها في الراط واخرجها اذا بردت وقشر عنها السواد ، وأعد عليها العمل تمام ثلاث مرات وفي الثالثة اغمسه في الماء واقشر ما عليه من السواد تخرج الفضة حمرا مثل النار على القطع والسبك والطرق بأمر الله تعالى لا يتغير سنين ان تركتها .

فأخلط جزئين على جزء ذهب وان حملت للواحد واحدا فهو النهاية، وتهرجه بعد الاختلاط في ماء ملح نفطي ثلاث مرات يخرج ذهبا ابريزا بمشيئة الله ، بعه على الصاغة سبائك أو كيف شئت .

ولتفسير هذه العملية كيميائيا نقول أن اضافة النحاس للكبريت ثم تكليسه ينتج لنا كبريتيد النحاس الاسود ثم اضافة الفضة لهذا المركب ثم حرقه ، يحترق الكبريت ويتحد النحاس المنصهر مع الفضة مكونة سبيكة من النحاس والفضة لونها أحمر ، ثم خلط السبيكة هذه مع الذهب وصهرهما جميعا تنتج لنا سبيكة من النحاس والفضة والذهب ، تغلب عليها خصائص الذهب ، وهذا يعني ان عيار الذهب يقل وثمنه يرخص باضافة النحاس والفضة له ، مع استمرار احتفاظ السبيكة برونقها الذهبي .

الرازي الفيلسوف

ألف الرازي كتاب الطب الروحاني ليكون علاجا للنفوس واصلاح الاخلاق ، كما كان كتابه المنصوري علاجا للابدان وعناصر الطب الروحاني حكايات مأخوذة عن الفلاسفة ، تعتمد في التهذيب على العقل والتأمل والتبصر ، وكتاب اخر – السيرة الفلسفية – وفيه يدافع الرازي عن نفسه ويبين أن سيرة الفيلسوف تتلخص في ايثار لذة العقل وكمال الروح على اللذة الحسية ، ثم – كتاب اللذة – فيه منتخبات بعضها بالعربية وبعضها مترجم من الفارسية، وفيه يذهب الرازي الى أن اللذة ليست شيئا ايجابيا بل يرجع الى أن الحالة الطبيعية وهي عنده ليست بلذة ولا ألم ، تتكدر بمؤثر مؤلم ، فاذا زال أحس الانسان بلذة تكون شدتها بحسب شدة الالم السابق لها .

ومن أهم ما يشتمل عليه الكتاب آراء الرازي في تأليف المادة من أجزاء الهيولى وأجزاء المكان أي الجوهر الفرد ، وخصوصا آراؤه في الزمان والمكان بالمعنيين المطلق والنسبي .

والرازي باعتباره من أكبر علماء الكلام في عصره ، كان ينادي بنظرية الجوهر الفرد – الذرة – في الباريء والنفس والهيولى ، والاعراض وهما الزمان والمكان ، وهذه كلها تعتبر ارهاصات لبحوث نيوتن وليبنز وبرجسون في عصر التنوير الاوروبي .

ونستطيع أن نرى في مجموعة مؤلفات الرازي الفلسفية ، نقدا لاذعا لعلم الكلام ، وفي الوقت نفسه قد أثر في هذا العلم في نقطة واحدة هي القول بوجود الخلاء وعلى هذه الاصول وجدت مسألة خروج النار من الحجر حلا منطقيا ، فاذا قدح الحديد بالحجر تمزق وتفرق ما بينها من هواء ، ومعنى هذا ان أجزاء الهيولى تتباعد وينشأ عن ذلك تحوله الى نار ، وهذا التخريج يعتبر ارهاصا لنظرية الفلوجستون التي ظهرت على يد الكيميائي – شتاهل – في القرن الثامن عشر الميلادي حتى حطمها الكيميائي الفرنسي لافوازييه .

ونستطيع أن نعثر على منتقدي الرازي من جانب الفلاسفة الاسلاميين ، اثنان هما الفارابي في كتابه الرد على الرازي في العلم الالهي وكتاب كلام في الخلاء ، وابن سينا في اجابة للبيروني حيث يقول عن الرازي « هوالمتكلف الفضولي في شروحه في الالهيات ، وتجاوز قدره في ربط الجراح والنظر في الابوال والبرازات ، لا جرم فضح نفسه، وأبدى جهله في ما حاوله ورامه ».

أما البيروني فقد دافع عن الرازي في موضوع كتاب سفر الاسرار لمؤلفه هاني النبي البابلي فقال عن الرازي « لست أعتقد فيه مخادعة بل انخداعا لما يعتقده هو » .

مناهج الدراسة الأدبية عند العقاد

محمد يوسف ايوب

١ً ـ المنهج النفسي :

ان طريقة العقاد في دراسة الشخصيات ، جديدة كل الجدة في الادب العربي ٠ انه يعطيك مفتاح الشخصية التي يترجم لها ، فتعرفها فورا بسماتها وملامحها ، فهو يرسم صورة نفسية للانسان الذي يريد أن يكتب عنه « تعرفنابه، وتجلو لنا خلائقه ، وبواعث أعماله ، كما تجلو الصورة ملامح من تراه بالعين ، فلا تعنينا الوقائع والاخبار ، الا بمقدار ما تؤدي أداءها في هـذا المقصد الذي لا مقصد لنا غيره ، وهي قد تكبر أو تصغر ، فلا يهمنا منها الكبر أو الصغر ، الا بذلك المقدار ، ولعل حادثا صغيرا يستحق منا التقديم على أكبر الحوادث ، اذا كانت فيه دلالـة نفسية ، أكبر من دلالته ، ولمحة مصورة ، أظهر من لمحته ، بل لعل كلمة من الكلمات الموجزة ، التي تجيء عرضا في بعض المناسبات ، تتقدم لهذا السبب على الحوادث كبيرها وصغيرها في مقياس التاريخ »٠

فالعقاد في تراجمه ، لا يعني بدراسة التاريخ على نمط التواريخ ، انه يؤكد ذلك في مقدمة كتابه « عبقرية عمر » اذ يقول : « وكتابي هذا ليس بسيرة لعمر ، ولا بتاريخ لعصره على نمط التواريخ ، التي تقصد به الحوادث والانباء ، ولكنه وصف له ـ أي لعمر رضي الله عنه ـ ودراسة لاطواره ، ودلالة على خصائص عظمته ، واستفادة من هذه الخصائص لعلم النفس ، وعلم الاخلاق وخصائص الحياة ، فلا قيمة للحادث التاريخي جل أو دق ، الا من حيث أفاد في هذه الدراسة » ٠

وفي كتابه عن شاعر الغزل ، عمر بن أبي ربيعة ، يجعلنا نحس أن الشاعر « ينتفض من بين ركام الاجيال حيا ، نابضا ، شاخصا ، بسمته وزيه ، ومزاجه ، وفنه ، وينبعث في حياته على الورق ، صورة مكتملة لحياته على الارض ، حتى ليخيل اليك أنك وشيك أن تلقاه ،وتصافحه، وأن تجلس اليه ، وتبادله الحديث » ٠

وقد لاقت هذه الدراسات والتراجم رواجا عظيما بين الادباء ، فكانت أعظم أعمال العقاد الادبية ، فقد ظهر المنهج النفسي جليا واضحا في هذه التراجم التي كان من أهمها « العبقريات ، جميل بثينة ، شاعر الغزل ، ابن الرومي ٠٠٠ (٠

ويرسم العقاد صورة جسدية لمن يترجم لهم بالاضافة الى الصورة النفسية ، كما فعل مع ابن الرومي وفرنسيس بيكون فهذا ابن الرومي عند العقاد « صغير الرأس ، مستدير أعلاه ، أبيض الوجه ، يخالط لونه شحوب في بعض الاحيان ، وتغير ، ساهم النظرة ، باديا عليه وجوم وحيرة»٠

ولكن العقاد لم يقتصر في البحث على نفسية البطل ، وصورته الجسدية ، فقد كان يفرد لذلك البطل ، فصلا خاصا ، يبحث فيه عن العصر ومدى تأثيره على الشخصية، فهو عندما يدرس شاعر الغزل عمر بن أبي ربيعة ،يدرس عصره وبيئته ، ليرد على من يستغربون انصراف الشاعر في جميع شعره الى الغزل فيقول : « لان العصر الذي عاش فيه ابن أبي ربيعة ، في تلك البيئة التي نشأ فيها ، كان عصرا غزليا في جميع أطرافه ، يشغله الغزل ، ولا يزال شاغله الاول ، فوق كل شاغل «· وفي رأيه أنه يندر جدا ، أن يشتهر رجل أو يرتقي سلم المناصب الرفيعة ، ثم لا يكون للعصر أثر في أخلاقه ، ان لم تكن أخلاقه كلها مشابهة لاخلاق عصره » ·

ويدرس أثر البيئة الخاصة ، في ترجمته لشخصياته، لان لها الاثر الاكبر في السلوك الشخصي ، وفهم الحياة كما فعل مع فرنسيس بيكون ومع ابن أبي ربيعة ، حيث أرجع جانب الغزل عنده الى طبع انثوي ، نتيجة تربيته المنزلية حيث قال عنه : « ··· وربما رشحه للسبق في هذه الصناعة ، جانب أنثوي في طبعه ، يظهر للقارىء من أبياته الكثيرة ، التي تنم عن ولع بكلمات النساء ··· » · وهو يهتم كثيرا بأثر البيئة في تكوين الشاعر والاديب ويصدر كتابا خاصا عن « شعراء مصر وبيآتهم » يقول فيه: « ومعرفة البيئة ضرورية في نقد كل شعر ، في كل أمة وكل جيل ··· » ·

ويرى الناقد سيد قطب أن دراسة العقاد للشخصيات، مضافا اليها مجموعة عن المذاهب الفنية ، لشعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ، يضع أساس مذهب للدراسات كاملا واضحا ناضجا ، ولكنه مع هذا ليس ميسرا الا للموهوبين · فهذه الطريقة في دراسة الشخصيات والمذاهب تحتاج الى نوع من العبقرية النافذة ، التي تضع يدها على المواضع الحساسة ، من غير تعثر ، ولا تلمس ، وكأنما تهتدي اليها بحاسة خفية » ·

٢ ـ المنهج النفساني :

لاقت طريقة العقاد في دراسة السيرة والتراجم رواجا أدبيا عظيما ، فأخذت نظريات علم النفس الحديث ومذاهبه تتغلغل في حركة النقد الادبي « وقد سرت عدوى التحليل النفسي في النقد الادبي ، الى بعض تلامذة العقاد ، ثم جاءت مدارس النقد الجامعية المتأثرة بدراسات علم النفس الحديث ، تسلك هذا المسلك ، ولكن على نحو من الجموح في تطبيق النظريات النفسية في الادب ··· حتى ان العقاد نفسه ، لم يستطع تجاه هذه الموجة الطارئة من النقد الادبي النفسي ، ولا سيما الجامعي ، الا أن يخرج عن طريقته في دراسة ابن الرومي ، التي ظهرت بشيء من الاعتدال ، جمع بين التحليل النفسي ، والتحليل الفني ، فاذا هو يريد من جديد أن يتحدى الجامعيين بمزيد من الاغراق والجموح ··· واذا به يطلع على الناس بكتاب عن أبي نواس وصفه بأنه : دراسة في التحليل النفساني والنقد التاريخي ··· » ·

ويعلل العقاد منهجه هذا في دراسة أبي نواس ، بأن أبا نواس شخصية نموذجية ، فالمنهج النفسي الذي عالج به معظم دراساته الادبية لا يصلح لها « ولكن يصلح لها منهج آخر ، يعتمد على التحليل النفساني،والنقد التاريخي، وهو منهج مقصور في بحثه على الدراسة النفسية ، ولايرمي الى ترجمة أبي نواس ، أو نقد أدبه وشعره ، ولا يمس وقائع الترجمة ، أو شواهد الادب والشعر ، الا لما فيها من الابانة عن طبيعته ، والاعانة على تفسيرها واستطلاع كوامنها ··· » ·

وقد أرجع العقاد آفات أبي نواس الى ظاهرة نفسية هي ، النرجسية وهي تعني ، ولع الانسان بذاته ، وقد وصفها بأنها ، شذوذ دقيق ، يؤدي الى ضروب شتى من الشذوذ في غرائز الجنس وبواعث الاخلاق · ويقسمها الى شعبتين شعبة الاشتهاء الذاتي ، وشعبة التوثين الذاتي· وتلازم شعبة الاشتهاء الذاتي والتوثين الذاتي معا لوازم متفاوتة في درجة الالتصاق بالافة · من أبرزها وأقواها لازمة التلبيس والتشخيص ، ولازمة العرض ، ولازمة الارتداد · وقد أتى العقاد بالشواهد المناسبة التي تؤيد رأيه في ذلك · وفسر شعر أبي نواس كله بما يتلاءم مع هذه العقدة النفسية « النرجسية » ·

وقد أثار العقاد في منهجه هذا ، ضجة أدبية كبرى، وقامت معارك نقدية بينه وبين : الدكتور طه حسين ، وسلامة موسى ، ومحمد مندور ·

فالدكتور طه حسين ، أخذ على العقاد اسرافه في استخدام علم النفس في دراسته،وغلوه في تعمق «النرجسية» على مذهب المحللين النفسانيين ·

لكن العقاد رد على الدكتور طه حسين ، ردا مشوبا بالتهكم والسخرية ، حيث بدأ رده بنصيحة وجهها للدكتور وذلك بأن يقرأ كتب التحليل النفساني ، وأن يعيد القراءة مرة بعد مرة، وبذلك فانه سيعدل عن رأيه ، وهذه النصيحة ميسورة الاتباع · ويقرر العقاد بأنه سينهج هذا المنهج في

دراساته الادبية ، ويكتبه ، ويقرره ، ويرجو ممن يطلع على خطأ فيه من المختصين ـ لا من الادباء مثل طه حسين ـ أن يعلنه وهو مشكور ٠

أما سلامة موسى فقد دخل هذه المعركة عندما أكد بأن « شخصية أبي نواس ، شخصية سيكوباتية ، أي أنه مجرم ٠٠٠ فلو أن أبا نواس كان يعيش في مجتمع يختلط فيه الرجال بالنساء ، ولو أنه كان قد تعلم الرقص ، لما كان قد وقع واستسلم لشهواته الشاذة ، ذلك أن الشاب الذي يرقص مع فتاة ، وينظر الى وجهها ، ويشتم شعرها، ويضع ذراعه على خصرها ، لا يمكنه أن يفكر حين يحب الا في الجنس الاخر ٠٠٠ فالعيب في المجتمع الذي عاش فيه أبو نواس لا في أبي نواس نفسه ٠

وقد رد عليه العقاد بقوله : لا يستطيع أحد أن يجمع من متناقضات العلم ، ما جمعه سلامة موسى في هذه السطور فاذا كان أبو نواس شخصية سيكوباتية شاذة ، فمعنى ذلك أنه مخالف في تكوينه للمجتمع الذي عاش فيه ، وأنه لا يشبه الملايين الذين عاشوا في ذلك المجتمع ، واذا كانت آفة المجتمع العربي قلة الرقص ، فمن اللازم أن يتشابه أبو نواس مع ملايين الخلق في هذه الافة العامة ، فلا شذوذ في هذه الحالة ولا سيكوباتية ٠٠ فسلامة موسى يعلم أن مجتمعات الغرب العصرية ، لا تشكو قلة الرقص ، بل لعلها تشكو افراطه ، وتهافت الشباب والشابات عليه في الاندية والبيوت ، في الميادين والساحات ، فلماذا أصيب أربعة في المائة بالشذوذ الجنسي مدى الحياة عدا المصابين به في أطوار دون أطوار ؟؟ ٠

ان اسكار وايلد لم يولد في مجتمع كمجتمع أبي نواس بل ولد في مجتمع الرقص والاختلاط ، ونشأ في بيئة الترف، وتزوج من بيئته وولد له أبناء ، فلماذا ينفرد مجتمع شعراء العرب بآفة السيكوباتية لانه محروم من الرقص والاختلاط بين الجنسين ؟؟ ٠

٣ ـ المنهج العلمي :

يقوم المنهج العلمي ، على استخدام علوم الطب ، والوراثة ، والنبات ، وغيرها في البحث ، والنقد الادبي ، وكان الدافع لادخال هذه العلوم في النقد الادبي ،ومناهج البحث ، هو أن هذا العلم يبين لنا صعوبة التلفيق ، بل استحالته أحيانا على من يريده ويتعمده ، وذلك عندما تكشف المقابلة بين الاخبار والروايات عن حقيقة علمية كانت مجهولة في الزمن الذي ترجع اليه ٠

ويؤكد العقاد ، بأننا منذ اليوم ، نحس أن غواية البدع السقيمة تنهزم سنة بعد سنة ، أمام حقائق العلم ، ودراسات الطبائع والاخلاق ، فاذا انتهت كشوف القرن العشرين في هذا الباب بالتمييز بين فوضى الفن وقواعده فأنعم به من ختام لا تنقضي حسناته ومزاياه ٠

ويطبق العقاد منهجه العلمي في دراسته عن امرىء القيس ، حيث يعرض الاخبار التي وردت عنه في كتب الادب واللغة ، على العلم ، ومن تلك الاخبار ، أنه كان جميلا وسيما ، ومع ذلك تكرهه النساء ، لانه، ثقيل الصدر خفيف العجز ، سريع الاراقة ، اذا عرق فاح برائحة كلب ٠ ومنها ، أنه كان يلقب بذي القروح ، واختلفوا في اصابته بالقروح ، فقال قوم : انها الحلة المسمومة ، وقال آخرون: انه الجدري ٠ ولكن العقاد بعد مقابلة الرويات ، وعرضها على العلم ، يفسر ذلك ، بأن روايات زواجه ومرضه يؤخذ منها أنه ، كان مصابا بالتهاب جلدي ، يحدث من اجتذاب المواد الدهنية والسكرية ، لطائفة من الطفيليات ، ويفوح العرق في مثل هذه الحالة برائحة كرائحة الكلب ، لان الكلب قليل المسام في جلده ، فيشبه عرقه عرق جلد المصاب من بني البشر ٠ لذلك فالعلاقة بين الامراض الجلدية وأمراض الوظائف الجنسية معروفة ، ولهذا يتخصص أطباء هذه الامراض ، بعلاج الامراض الجنسية كما هو معلوم ٠ ويرى العقاد أن القروح نشأت من ذلك المرض الجنسي ، بعد طول العهد بالاصابة به ، ولان الرجل الذي تبغضه زوجته لعيوبه الجنسية ، لا يبلغ من غوايته للمرأة أن يستهوي ابنة قيصر ، وأن يتعرض في جريرة ذلك هو للوشاية والانتقام ٠ لذلك فان قصة الحلة المسمومة هي وهم من نسج الخيال ٠

وكذلك فان العقاد يدرس ابن الرومي بالطريقة نفسها ، فهو يعرض لاخبار وفاته ويحللها معتمدا على الحقائق العلمية ، فيبين لنا أنه لم يمت مسموما كما تزعم الروايات ، بل مات بمرض السكر ٠ فالاخبار تروي أنه ـ أي ابن الرومي ـ كان مشهورا بالنهم والافراط في أكل الحلوى والدسم ، وأنه أصيب بجرح غلط فيه الطبيب ، وكان يشكو من الحاح البول ، وعنده ماء مثلوج ، وهو يشرب منه ولا يرتوي ٠ يقول العقاد عن هذه الظاهرة : أتت أمام حالة مرضية معروفة لا شك فيها ، تتمثل في رجل مفرط في النهم منذ صباه الى شيخوخته ، وخاصة في أكل الحلوى والدسم ، وأنه أصيب بجرح غلط فيه الطبيب ، حيث فصده وهو لا يعلم خطر الفصد في مثل حالته ، ثم فسد الجرح فاعتراه ما يعتري مريض السكر من شدة الظمأ والحاح البول ، والشعور بمثل ما يشعر به المسموم٠

هذا وقد أثبت العقاد أيضا أن سبب وفاة الكواكبي، الذبحة الصدرية لا السم ٠ وأن سبب وفاة جمال الدين الافغاني ، التهاب الفك مع الافراط في التدخين ٠

محمد يوسف أيوب

حمص ـ الرستن

الخريف

• د. وجيه بارودي •

مرضت نفسي شهورا　　　　خمسة كانت دهورا

لم أدع من كان في الطب قديرا وشهيرا

واستشرت الصيدلاني ولم أنس الاجيرا

كلهم قالوا مقالا　　　　واحدا : صرت كبيرا

كنت غرا خلتني أبقى مدى العمر صغيرا

كنت أعمى فتفتحت أرى الامر خطيرا

« دونجوان » الامس يمشي أحدب الظهر كسيرا

كل حسناء تنادى عمها الشيخ الوقورا

واذا نوديت : يا عماه ... عربدت كثيرا

سبة هذا الذى أسمعه تدمي الشعورا

يا وقارى .. كنت شؤما لي ، وشرا مستطيرا

ياوقار السن أخزيت وحقرت أميرا

قلت لي : اهديتك الحكمة والعقل البصيرا

ومحقت الحمق والطيش وحطمت الغرورا

ليس لي رأى بما أسديت لي .. والأمر شورى

خذ عطاياك من الحكمة واتركني غريرا

يا صديقاتي .. تعالين .. تحدين المصيرا

فخريف العمر يغدو بالهوى فصلا نضيرا

ليس هذا الشوط في مضمارنا الشوط الاخيرا

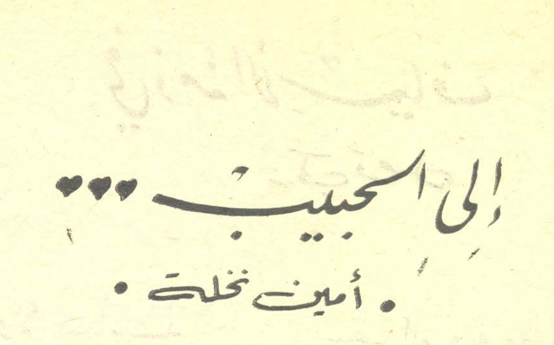
فتزين .. تبرجن .. تلألأن بدورا

وسأشقى ، وسأصلى في هواكن سعيرا

ولاحظي بيسير ... أركب الصعب العسيرا

قد بلوت العيش ألوانا وقلبت الامورا

فبدا لي كل شيء ، ـ ما عداكن ـ قشورا



الى الحبيب ...

• أمين نخلة •

يا صاحب المنزل القديم على	ما ضي الليالي وسالف السير ..
أقمت للحسن مأتما عجبا	فكل واد يضج بالخبر
أو حشك الماء والرواء وما	قد كان بين الخدود والطرر
وأصبحت خمرة الجمال لها	طعم الحميا من غير ما سكر ..
فيا شريك البستان ان لنا	الف غناء عن خضرة الشجر
سنابل الحقل في تمايلها	لاتكتسي حلة من الزهر
وموقع الغيث وهو منتجع	لم يبق في حاجة الى المطر
أنت كتاب للحسن منبسط	قد حكموا فيه رأى مختصر
فلا تقطب على الربيع ولا	تنس الذى في مخابىء الثمر
وان للمسك في مداهنه	بقية من زمانه العطر ..



في ذمة الأسياف

زكي قنصل

لا يفرح العادي ولا يستأسد ... سيف العروبة مصلت لم يغمد

الجولة الاولى تركناها لـــه ... لكن ستأكله الندامة في غـد

هيهات تحيا دولة ولدت عـلى ... مهد الرذيلة قبل حين المولـد

لا يرجون من النيوب سلامة ... من جاس مملكة الهزبر الأصيد

الحلم قد يجدى ولكن ربمـا ... أودى بحسن القصد لؤم المجتدى

لولا دعاة الهدنة الشؤمى لما ... ظفر الغريق الاشعبي بمنجد

خسىء الذين توهمونا أمة ... نامت على شوك الهوان الانكد

تأبى الكرامة أن نذل لواغل ... وقح ، ونغضي عن دخيل معتدى

الحقد ليس الحقد من أخلاقنا ... لكن متى انسقنا اليه نحقد

نحن النجوم الزهر لم يخمد لها ... الق ولن يرقى لهن بمصعد

نحن الصخور الراسيات تضاحكت ... أقدامها من كل موج مزبد

نحن النسور يزل عن آفاقها ... سهم الردى وتضل عين الهدهد

رضنا الزمان فما تمرد صرفه ... الا تمردنا على المتمرد

المكرمات ترعرعت في أرضنا ... وتألقت منها حروف الابجد

كم قيل متنا ثم هبت ريحنا ... فاذا عبيد السوط قوت الموقد

من كان يبعث مرتين فاننا ... من حيث تحتضر الممالك نبتدى

تاريخنا لم يحو في صفحاته ... الا أماثيل الندى والسؤدد

نور الهداية شع من آفاقــــه
فليهتد الضليل أو لا يهتـــد

عيسى ابن مريم آية ذهبيــــة
في متنه اكتملت بآية أحمــد

من ينبىء الشذاذ أن وجودهم
في مطلع الانوار انكى مشهـد

لم يعرف الادنى أشد مضاضة
منه ولم يخطر لبال الا بعــد

تقذى به عين الفضيلة والعــلى
وتمجه نفس الكريم الامجد

للعرب كرات - ورب هزيمــة
جبلت بيوم للاعادى أســود

في ذمة الاسياف تطهير الحمـى
منهم ومن متلون متــردد

شر من العادى تستــر مارق
ومن اليهود وقاحة المتهــود

يا هائمين بكل واد بلقـــع
ومشردين بكل قفر فدفـــد

مهلا فقد يهمي السحاب وينقضي
ليل ويضحك كل وجه اربــد

اليأس مضيعة الرجال فاوصدوا
من دونه بابا لكم لم يوصــد

لابد من يوم أغر محجـــل
يروى به ثأر النسور الشــرد

سيدك جيش الحق دولة «كوهن»
ويزج «كوهن» في الحضيض الاوهد

ستعود للارض السليبــة رايــة
عربية معقودة بالفرقـــد

ستعيد الدنيا غـدا لرجوعكـم
فنظار ياشم الانوف الى غــد

الدمعة الحمراء

قصيدة

عبد المطلب الأمين

مهداة الى الحبيبة الضائعة

يا قلب أين الدمعة الحمراء نطق البلى ولحونها خرساء

روت بطاح الأمس من رحماتها وزهت بها أوراده السوداء ..

يأوي الى أندائها وظلالها قدر أصم وحكمة عمياء

ويطوف يستجدي سخي حنانها يأس يمض وبسمة ورجاء

وتمر بالحرمان تمسح جرحه بالعطر رحمة كفها السمحاء

حواء لولا ملهم من فيضها لاسترحمتها الصخرة الصماء

والليل لولا مؤنسات نجيها لاستوحشت في صدره الظلماء

والفجر لولا زخرف من وشيها لنبت به الألوان والأفياء

والقلب ما عمرت مجاهل بيده بالسحر الا الدمعة الخرساء

من مدمع الله السخي معينها ومن السماء كنوزها الزهراء

ويد النبوة خضبت بعبيرها واستلهمتها الحكمة الغراء

موسى وديعة دمعة من أمه لا اليم يخفرها ولا الأنواء

ويسوع والرحمات ظل صليبه جادت به من دمعها العذراء

وعلى تراتيل اليتيم المصطفى .. من دمع آمنة سنا ورواء ..

دنيا الدموع وأين من عليائها في العبقرية بسمة بلهاء !؟

يا دمعتي خذل الهوى قيثارتي أفيخذل اللحن الجريح بكاء

ما خنت عهد الدمع في مرح الهوى يا دمعتي ، شيم الدموع ، وفاء

مري على القلب الحبيب فطهري ما دنست من قدسه النعماء

الصرخة الأولى

سعيد قندقجي

الموت والميلاد يمثلان قصة الشرود الانساني في رحلة الفكر الى عالم عميق عميق يعود منه الانسان متمزقا ليستسلم للواقع . وهذه القصيدة كتبت يوم ايقظتني زوجي بعد منتصف الليل لافتش لها عن قابلة تستقبل مولودنا الجديد :

في مثل هذا اليوم كانت قصة الميلاد كانت موجة الفرح الكبير

الليل شال أسود يمتد فوق الكون يخطو راعشا خطو الضرير

وأنا أدور ألف في الطرقات مجنون الرؤى نزق العواطف والشعور

متأرجحا بين المخاوف والأماني البيض مرتعد التصور والحضور

زوادتي وجه يطل علي كالاشراق كالايمان من خلف الستور

عينان تأتلقان بالبشرى كقنديلي شعاع يحنوان على مصيرى

ثغر يغرد باسم « بابا » يملأ الدنيا بأحلى ما سمعت من الثغور

طفل يهرول ان فتحت الباب يبسم لي يعانقني يفجر بي حبورى

يغزو جيوبي باحثا عما تعود من جنى بحث الفراش عن الزهور

يبكي ويضحك والحياة كما يشاء غريزة تحنو على الطفل الغرير

أحياه في خطو وفي مرح وفي صخب يرش بخافقي أحلى العطور

أنا عدت فيه الى الوجود رأيت في عينيه أمسي واكتشفت به جذورى

وعرفت أني ما انقطعت عن الخلود ولا توقف عن غدى الآتي مسيرى

هو قصة الانسان منذ أتى الى الدنيا وقصته الى يوم النشور

• • •

في مثل هذا اليوم كانت خلجة الميلاد كانت صحوة الفرح الكبـير

وأنا ألف أدور في الاحياء أنشد وجه « قابلة » ترد عـلى هديـرى

الباب يقرع والصدى في الليل رعد مطلق يختال في الصمت القريـر

ويداى مثل فؤادى الملهوف ضارعتان خافقتان بالحدث المغـير

وتطل قابلة رأيت بوجهها الاجيال تزحمني وتكشف عن غـرورى

وأعود بالأمل الكبير أعود للبيت المضمخ بالولادة والنـذور

• • •

الصمت يملأ كل زاوية فلا همس يلوح بمسمعي سوى زفـيرى

والباب مسدود يكاد يغلف الدنيا بكل مجاهل السر الخطـير

وأنا الملم كل أجنحتي أحاول أن أجمع من متاهاتي نشـيرى

الموت والميلاد في خلدى وما الناعي بأبعد من نداءات البشـير

وأعود للاقدار أرفع مقلتي الى السماء ألوذ بالرب القديـر

وسمعت خلف الباب أصواتا وصرخة طفلة تنساب كاللحن الاثـير

الصرخة الاولى الشرارة ، ألحياة ، الكون ، ملحمة الدهور الى الدهور

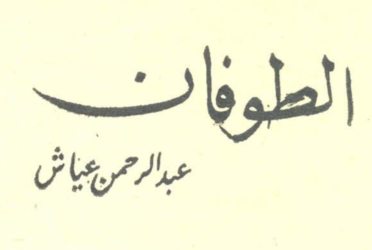
الصرخة الاولى وتنسكب الدموع وترتوى الاعماق بالألق النمير

الخلق معجزة الالوهة صحوة الايمان اشراق الهداية في الضمـير

الخلق هذا النبع هذا السر هذا الجوهر المكنون يهزأ بالقشـور

وتمر ملء خيالي الاجيال تعبر خلف آدم في ميادين العصـور

لأراه عاد الى الوجود بكل ميلاد جديد عاد في طفل صغـير



دعا نوح دعاء الانبياء ... وما من مرتجى غير الدعاء
وقال الارض غشاها فساد ... فلم يُعرف صباح من مساء
مدائن للضلالة والمعاصي ... ولذات الغوى والكبرياء
وأسوأ ما نهى الرحمان عنه ... تعاظم في الرجال وفي النساء
فليس الميت مأسوفاً عليه ... وليس الحي يصلح للبقاء

• • •

فكرمه ولباه سميع ... وفجرت العيون من السماء
سحائب أربعين من الليالي ... تسح وفيضها حكم القضاء
تراها كلما انقشعت وشحت ... بدت أخرى وزادت في السخاء
هو الطوفان لا يحويه وصف ... من الأوصاف في عظم البلاء
يلج كأنه غمرات بحر ... وهذا البحر يضرب في وعاء
فموج كالجبال ولا جبال ... وماء فوق ماء تحت ماء
كأن الأرض في الأعماق فارت ... وقد ثار الظلام على الضياء
غريق يستجير به غريق ... وأقرب ما تراه العين نائي
على نظراتها أشباح موت ... سكارى خمرها دمع البكاء
وأصنام وأنصاب تعالت ... وما شادت عبيد الأغنياء
عفت فكأنها أعشاش نمل ... مما آثارها ثلج الشتاء

فلا وحشٌ ولا شجر وطير ولا حجر يقوم على بناء
وأضحت هذه الدنيا خرابا وكل الخلق صاروا للفناء
ولم يظهر عليها غير فلك مسجى عابر درب الرجاء
وكان الفلك في الأمواه يجرى بأجناس ورهط الأتقياء
نجوا بحمامة البشرى اليهم وحقت معجزات الأنبياء
ولو أبقى من الشعراء حياً لأبكى الصخر من شعر الرثاء

• • •

تجيء القاصمات فليس ينجو جناح النسر في رحب الفضاء
قصاص بل دمار بل زوال يجل بها المصاب عن العزاء
فكم أمم رعاها الدهر حيناً وقوض صرحها موت فجائي
اذا فسدت قلوب في هواها فان الجهل علم الأذكياء
وكل مظاهر الدنيا عهود لها أجل ابتداء وانتهاء

• • •

ولما أفرع الانسان عادت حياة للنعيم وللشقاء
كأن لم يأته الطوفان يوما وتضرب في الديار يد العفاء
وصار على مدى الأزمان ذئباً خفي الناب شرير الذكاء
فهل يأتي كما بالأمس نوح ويرفع راحتيه بالدعاء ؟!
لعل الأرض تغسل من ذنوب بذاك يصح قول أبي العلاء

اعتذار

عبد الرحيم الحصني

رويدك سيف الشعر يا هند ما نبا … ولا الحب رغم البعد يوما تغيبا

بجنبيَّ مهما أمعنت ثورة النوى … لعينيك مهد ما يزال مخضبا

وأغنى الهوى بالوجد لهفة شاعر … رأى الحب دنيا في الحياة ومذهبا

أقلي عليَّ اللوم شقراء وانصفي … محبا لغير الحسن في الكون ما صبا

غريب على أرض تحمل دونها … شقاء وأعباء وجوراً وغيهبا

توخى اباء النفس في رحمة الملا … ولولا اباء النفس ما عاش متعبا

ورب مقيم في الديار جفونه … أحق بسفك الدمع ممن تغربا

رويدك ، لا مهر البيان تعثرت … خطاه ، ولا القلب الشجي تقلبا

ولكنها الدنيا وأنت عليمة … بها صيرت مزهوهر اللب مجدبا

تعملقت الأقزام واحلولك الدجى … وروى دماء الأخوة السهل والربى

سليني عن الأرض التي تاه أهلها … بأرجاء دنيا الله زغبا وشيبا

سليني عن الأرض التي كان ظلها … ظليلا وفيها العيش كان محببا

سليني عن الأقصى ومهد ممجد ⠀⠀ بـه اختالت الأفاق والكون رحبـا

ديار غدت للطامعين مسارحا ⠀⠀ وصارت لأنذال البريـة ملعبا

وما زالت الأمواج تقذف أمتي ⠀⠀ ضياعا وتبديدا وشرقا ومغربا

فيا أمـة لم يعرف الأمس مثلها ⠀⠀ سناء ، فما أمضى وأنقى وأنجبـا

اذا ما الشتات المرُّ داهم أمة ⠀⠀ فذلك شعب لن يفوز ويغلبا

يقولون أين الحق ، والحق كامن ⠀⠀ اذا خيم الطغيان ـ في ألسن الظبى

اذا الحق لم يحصن بهمة ساهـر ⠀⠀ فليس عجيبا أن يزول ويذهبا

• • •

وعينك يا شقراء ما صوح الهوى ⠀⠀ لدى ، ووهج الحب في النفس ما خبا

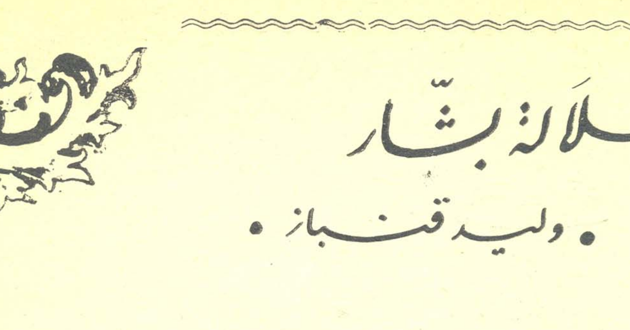
ذريني أصب الشعر من مهجتي دما ⠀⠀ لقد آن أن يعطى التراب ليشربا

توانت سيوف العرب عن صون حقها ⠀⠀ وخلته للاوغاد ، يا خجلة الأبا

اذا لم يكن شعرى من القلب شعلة ⠀⠀ فلا كان انشادا ولا كنت مطربـا

فعـذرا اذا جف المداد ولم أعد ⠀⠀ اذا قلت شعرا اذكر الكأس والصبا

فمـا ذاك ترحال الشباب وانما ⠀⠀ اخو المجـد يأبى أن يهـان ويسلبا





إطلالة بشار

• وليد قنباز •

وفي دنيا الغربة ، أطل بشار بعد بثينة فكانت هذه النشوة الطافرة :

أطل بشار .. يادنيا ارقصي طربا ... ويا جناحي حلق وازحم الشهبا

وانثر بشائرك اللاتي خصصت بها ... واحب الجواهر دفاقا لمن رغبا

جاءت بثينة فازدان الوجود سنى ... وهل بشار فانثال السنى عجبا

لا تخف يا قلب ما في الصدر من طرب ... ورتل الشعر .. ان الوقت قد عذبا

وكيف لا ..؟! وحيالي زهرتان هما ... أحلى وأروع ما الخلاق قد وهبا

ففي بثينة آمالي مجسدة ... وعند بشار ألفيت الجنى خصبا

ماذا أقول .. ؟ وحرفي لايطاوعني ... في نقل دفقة قلب ذاب وانسكبا

اني أعيش ربيعا غافيا عبقا ... أرنو لروضته الغناء منتهبا

أبعد هذا أراني اليوم مغتربا ... ان قلت هذا فاني أفترى كذبا

فتلك أمي وهذا في الرواء أبي ... كلاهما قد أعاد الوجه والنسبا

وذى « ضياء » تهادى حولنا ملكا ... ترعى بمهجتها الشاهين والزغبا

يا طيبها لحظات من هنا عمرى ... ومرحبا بنعيم فاض واصطحبا





إنّه الحب

• بيان الصفدي •

يا يد البحر كيف آتيك ؟ اني … منهك القلب ، واجم ، مشتاق

قادم حاملا حروفي .. همـاً ! … وأنا السحر والهوى الدفـاق

كـل عمري سحابة من خطـايا … وجموح ، وثورة ، وانطلاق

كنت نفساً شفيفة ليس فيهـا … غير شمس ضياؤها الأحداق

عابرا في مسالك الريح أهـوى … صحبتي النار ، والرياح الرفاق

ضفتي شاطىء وبعض صخور … صامتات ، وعالمي أنفـاق

وكهوف رحيبـة ، في دجاها … يزحف الشوق والندى الرقراق

حملتني عـلى الرحيل طيوف … خالدات وعـالم .. براق

كلما ضجت الوعود بنفسي … ينزح الصحو عن فؤادي الفراق

في دمي أنت رعشة وصهيل … وبعيني جمرة لا تطـاق

زهرة أنت في ضلال مسيري … وأنا النار والضياء المـراق

شاحب وجهك الجميل ، فهلا … لألأ الوجه ، واحتوانـا العنـاق

انـه الحب تعلمين .. حنـين … غامض بين أضلعي خفـاق

هومي في متاعبي وشجوني … أنت عمري ، فكيف لا أشتاق ؟

لا تكوني سحابة ليس تبقى … ان حبي وجوده استغـراق

أنت عندي قوافل من عطور … أخبريني ـ بالحب ـ كيف تساق ؟

إغراء الحب

محمد علي السنوسي

سلوا راح عينيها وورد لماها … متى علمت أني صريع شذاها

فقد حرمتني نفحها وابتسامها … ورقة نجواها وحلو جناها

وبات يعنيني هواها ودلها … وتسخر بي أطيافها ورؤاها

وقد كنت آتيها فيهتز فرعها … طروبا كما هز الغصون صباها

وتصدح عيناها لحونا وتنتشي … أحاديثها رفافة ولغاها

وتضفي علي السحر والعطر والمنى … وتمنحني أنفاسها ونداها

فأصبح يغريها بي الحب أنني … أحب وأني لا أحب سواها

تصد اذا أقبلت زهوا وتنثني … وتمنعني حتى رخيم صداها

ولو علمت أني ضحاها وفجرها … لما أحتجبت عن فجرها وضحاها

فلولا أغاريدى لما رف حسنها … ولولا أنا هيدى لجف صباها

فيا واحة الصادى حنانا ورقة … فقد ظمئت نفسي وأنت حياها

يا تثني الريحان

مدحت عكاش

قبل عني .. أهوى الجمال وأشدو لمغاني الجمال من كل فن

وعيوني وقف على كل حسن لاتسل عن مفاتن الحسن عيني

كم تغنيت لابتسام العذارى والغواني ، وكل ظبي اغن

وتغنيت للورود ولليل وغنيت كل سهل وحزن

والعيون التي وهبت لها روحي زمانا ، وعلمتني التغني

● ★ ●

تلك أشياء عهدها قد تقضى وطواها جمال وجهك عني

أنا مذ داعبت جفونك آما لي حرام ان ضم غيرك جفني

أنت ، يامن أيقظت أحلى أماني فتاهت بين الرضى والتجني

وتركت الفؤاد نشوان هيمان ، يغنيك ألف لحن ولحن

أنت خمرى في عصفة اليأس في القلب ، وكأسي اذا اديرت ودني

أنت ان لحت في مطاف خيالي غبت عن خاطر الزمان وعني

أنت ! ما أنت غير نفحة ألطاف تهادت سكرى فراديس عدن

لك قلبي ، وهل يقدم للحسناء أحلى من قلب صب يغني

يا تثني الريحان بعتك روحي طاب منك الهوى وطاب التثني

لك ، للحسن ، للجفون الكسالى ما سيروى الزمان عنك وعني

جولدزيهر

• د. محمد عبد الستار نصار •

وقفة مع المستشرق المجري :

منذ اتصل الغرب بالشرق الاسلامي عن طريق استعماره والسيطرة على الاماكن الاستراتيجية من أرضه ، واكب ذلك اتصال فكري ثقافي ، تجلى في ناحيتين ظاهرتين .

أولاهما : دراسة الاسلام من جميع نواحيه ، سواء منها ما يتصل بالقرآن نفسه وما يتصل بالسنة وما يتصل بالفقه والعقائد والسير والمغازي .

وثانيهما : الافكار والاراء التي ظهرت لدى بعض الباحثين الاسلاميين متأثرة بهذا اللقاء مما يعد في كثير من الاحيان غريبا عن روح الحضارة الاسلامية ، وانما هو أثر لهذا اللقاح الفكري الجديد .

والظاهرة الاولى عرفت بظاهرة « الاستشراق » وقد مثلها مجموعة من علماء الغرب كرسوا حياتهم لدراسة الاسلام ، فعاشوا بين أبنائه وجاسوا خلال دياره ، وعكف كل منهم على ظاهرة من ظواهر الاسلام يدرسها ويحللها ، ويعطي فيها نتائج وأحكاما لم تكن معروفة من قبل .

فهذا يدرس القرآن وتاريخه كما فعل « نولدكه » .
وذاك يدرس الحضارة العربية الاسلامية كما فعل « جوستاف لوبون » .

وثالث يدرس الظواهر الفكرية لدى المسلمين كما فعل « البارون كارادفور » .

ورابع يدرس الاسلام من الناحية التاريخية كما فعل الاب « لامنس » للخ .

ومن المستشرقين الذين درسوا أكثر ظواهر الاسلام، المستشرق المجري « جولد زيهر » فقد عكف على الظاهرية ومذهبهم وتاريخهم ، وهي فرقة من فرق الاسلام ، كما درس وكتب عن اتجاهات التفسير الاسلامي ، وكتب أيضا صفحات طوالا في دائرة المعارف الاسلامية ضمنها رأيه في كثير من جوانبه بالدرس والتحليل والمقارنة والاستنتاج ، وكل هذه الدراسات تنم عن جهد غير قليل لهذا المستشرق.

محاضرات في الاسلام :

ولعل من أشهر الكتب التي ألفها هذا الباحث حتى أصبح مقترنا بأسمه هو كتاب « محاضرات في الاسلام » كما غلب عليه حتى أصبح معروفا به ، وهو الذي سنتناول بعض ما به بالمناقشة والتمحيص . وهذا يعني أننا لن نقف مع المؤلف في كل المسائل التي تستحق الوقوف معه فيها ، فما أكثرها وهذا لا يكفيه مقال مثل هذا أو عدة مقالات بل يحتاج الى كتاب مطول .

والكتاب الذي بين أيدينا مقسم الى أقسام ستة هي :

١ ـ محمد (صلى الله عليه وسلم) .
٢ ـ الفقه وتطوره .
٣ ـ العقيدة نحوها وتطورها .
٤ ـ الزهد والتصوف .
٥ ـ الفرق الدينية .
٦ ـ الحركات الدينية .

القرآن ..

والقسم الاول من هذا الكتاب ينطوي على فكرة خطيرة يأخذ الباحث في اثباتها بكل الوسائل والمحاولات التي يعتقد أنها تؤيد ما يذهب اليه ، وهي « القول ببشرية القرآن » أي أنه ليس وحيا الهيا ، وانما هو انعكاس لحالات محمد (صلى الله عليه وسلم) النفسية ، وتبعا لذلك فان القرآن لم يأخذ خطا واحدا في التعبير عن مدلول القضايا التي يريد سوقها ، كما أن الثقافة الواردة وبخاصة الثقافة الهلينية كانت المؤثر الاول في تطوير الاسلام من النقص الى الكمال وتبعا لهذا أيضا فان الاسلام بشر به محمد لم يأت بجديد ولم يجاوز المزيج المنتخب من الاراء والافكار التي استقاها من الفكر اليهودي والمسيحي ، ثم أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) اعتمد في المرحلة الاولى لنبوته على الرؤى الكشفية الالهامية ، عبر عنها في جمل مسجوعة ، أما في المرحلة الثانية فقد اتخذ فيها القرآن نفس الشكل السجعي لكنه كان مجردا من الاندفاع العاطفي والقوة الفوارة حتى في المواقف والموضوعات التي أخذت شكل السور المكية .

ويكفي أن نجتزىء هذا القدر من الافكار والاراء في هذا القسم لكي نناقش الكاتب فيها فنقول : لو كان القرآن الكريم من عمل محمد كما يدعى لاستلزم ذلك أمرين واضحين لا يحتاجان الى نظر واستدلال .

أولهما : أن يكون محمد (صلى الله عليه وسلم) متعلما ولديه الماك واسع بثقافة عصره .

وثانيهما : أن يكون القرآن نفسه ـ على اعتبار أنه عمل بشري ـ في متناول الناس أن يأتوا بمثله أو ما يقرب منه .

أما الامر الاول فحسب الباحث المنصف شهادة التاريخ التي تثبت أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، ومن له أدنى معرفة بتاريخ القرآن يذكر الحوار الذي دار بين محمد صلى الله عليه وسلم كطرف قابل ، وبين جبريل عليه السلام كطرف مبلغ عن الله حين فاجأه بالامر بالقراءة . على أن القرآن نفسه يقرر أن محمدا لم يقرأ قبله من كتاب ولم تمتد يده اليه بالخط .

« وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذن لارتاب المبطلون » .

وكان القرآن الكريم ـ وهو كتاب الله الخالد ـ قد زيل هذه الاية بما يدل على عموم علم الله ، واحاطته بأنه سيجيء في كل زمان ـ حتى في زمن يدعى فيه البعض أنهم ملتزمون بالمنهج العلمي المحايد ـ من يشكك في أمر القرآن الكريم . لو كان محمد قد أصاب من التعليم قسطا يؤهله لذلك ، أما أن يقال هذا الكلام المعجز على لسان أمي لم يدرس ولم يذهب الى جامعة فهذا من أوضح البراهين على كون القرآن كلام الله الذي أجراه على لسان محمد صلى الله عليه وسلم لفظا ومعنى .

على أن الامر الثاني قد يكون أهم من الاول في افحام كل من تطاول بلسانه يريد النيل من القرآن اذ لو كان من عند محمد وليس من قول الله لكان مقتضى ذلك بداهة أن يكون في مستوى الاعمال البشرية التي يمكن مجاراتها ، وكيف تصح هذه الدعوى مع ما ثبت علميا من تحدي القرآن للعرب وهم في ذروة البلاغة والفصاحة أن يأتوا بمثله فعجزوا ، وتدرج التحدي في ترتيب تنازلي حتى طالبهم بأن يأتوا بمثل أقصر سورة فلم يستطيعوا ، ثم كيف يلجأ هؤلاء الى طريق المعارضة بالسنان بدلا من المعارضة باللسان ، اللهم الا اذا أرادوا أن يسترجعوا ماء وجوههم بعد افحامهم وتحديهم ثم من ناحية أخرى من حدثته بمعارضة القرآن كان كلامه أشبه ما يكون بكلام المحمومين لانه خال من مضمون شريف يقرر للناس أمرا يتصل بالعقيدة أو التشريع أو السلوك والاخلاق كما هو شأن الكلام الالهي ومع التسليم على سبيل المجاراة للخصم فقط ـ بأنه كان في مقدور القوم أن يأتوا بمثل القرآن ولكنهم صرفوا عن ذلك ، كما يقرره بعض الباحثين في نطاق الفكر الاسلامي فان هناك جانبا للقرآن لا يستطيع باحث منصف أن يناقش فيه لبداهته ، وهو اخباره عن حقائق غيبية ، سواء في ذلك ما وقع منها في الماضي ، كما هو الحال في قصص الانبياء السابقين وماحدث لهم مع أقوامهم، أو ما أخبر به القرآن قبل حدوثه وجاءت الحوادث مصدقة ومؤيدة له ، كما في قوله تعالى :

غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد » ٠

وليس لاحد ممن لديه أثارة من علم أن ينكر ذلك ، بعد أن أثبتت الاحافير وعلم الانسان « الانتربولوجي » وجود الشواهد الكثيرة التي تؤيد أخبار القرآن عنها ٠

وأما ما ذهب اليه هذا الكاتب من تنوع أسلوب القرآن في عهديه المكي والمدني مما اعتقد أنه حجة له ، فانا نرى ـ ويرى معنا جميع المنصفين أن هذه المسألة حجة عليه بعكس ما اعتقد ذلك لان من يعرف عن البلاغة شيئا يعترف بأن من أخص خصائص الاسلوب البليغ أن يكون مطابقا لمقتضى الحال وانه اذا لم يراع فيه ذلك لم يرق الى مستوى الكلام البليغ واذا كانت المرحلة الاولى التي جاء فيها القرآن الكريم ببعض سوره واياته ـ وهي المرحلة المكية ـ كانت المهمة فيها تصحيح ما عليه القوم من الاعتقادات الضالة وذلك يقتضي قصر الفقرات مع شحن الكلمات بجرعة وجدانية تلفت النظر الى ضلال ما هم عليه حتى يغيروا من نظرتهم الاعتقادية المنحرفة ، فان القرآن الكريم اذا راعى هذا المقام ، يسوق آيات الوعد والوعيد والتخويف والانذار ، وسرد قصص السابقين للعظة والاعتبار ومناقشة القضايا بمنطق العقل والبرهان ، يكون في ذروة البلاغة أن لم نقل انه درجة وحده من هذا المقام ٠

وفي الفترة المدنية التي يزعم الكاتب أن القرآن فيها قد خلا من الشحنة العاطفية والوجدانية التي اشتملت آيات المرحلة الاولى ، مما يتوصل به الى أنه راجع الى الهدوء النسبي لنفس النبي ، ليدعم فكرته الاساسية ٠

نقول ردا على هذا الزعم : نعم ان القرآن في هذه الفترة قد اتخذ منهجا مغايرا في سوق قضاياه ، وبالتالي في الايات المعبرة عنها ، فالمقام في المدينة مقام تقنين وتشريع وارساء لنظام الدولة في كل اتجاهاتها بعد أن صحت عقيدة من انضم تحت لواء الدين الجديد ، وهذا يقتضي بالضرورة أن تطول الفقرات لتوضيح الغرض من التشريع وتبيين علله أن ظهرت ، وتبين للناس نتيجة التطبيق ٠ وقد تشمل بعض الايات على قضية ما كقضية « الميراث » مثلا فتأخذ في توضيحها وبيانها بمنهج السرد الموافق لحكمة التشريع ، فهل ينتظر منها أن تكون مماثلة لايات جاءت لبيان عظمة الله تعالى وقدرته المتجلية بأوضح معانيها في كونه المنظور مما تشهد به الفطرة من ضرورة الاذعان والانقياد بأن هذا الكون على هذا النمط المعجز انما هو أثر من آثار القدرة اللانهائية ؟

ان التوحيد بين المقامين في الاسلوب والمعالجة يؤدي بالضرورة الى الاخلال ببلاغة القرآن ٠ وادراك الاسرار البلاغية التي احتوى عليها هذا الكتاب فوق مستوى الاذواق السقيمة الفاسدة التي أعماها التعصب والحقد ٠ والكاتب قد عاش في رحاب الشرق الاسلامي ما يقرب من ثلاثين عاما قضى معظمها في الازهر الشريف وتعلم اللغة العربية، وعلى الرغم من هذا لم يستطع أن يصل الى أعماق البلاغة القرآنية ، وليته وقف عند هذا الحد الذي قد يعذر فيه ، لكنه تجاوز الى القاء الاحكام السريعة التي لا تقوم على أساس علمي ، من ذلك ما ذكره من أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كلما تقدم في دعوته تقدما خارجيا باتساع الفتوحات يتم التحول لديه من حب الله الى حب للدنيا والسيطرة عليها ، فبعد أن كانت نفسه مملوءة بكل معاني الخير والكمال البشري في المرحلة الاولى للدعوة وهي المرحلة المكية تراه في المرحلة الثانية (المدنية) ينتقل الى الاماني الدنيوية القوية ، وهذا هو ما طبع الاسلام من الوجهة التاريخية بطابع الدين الحربي ، مما يؤدي الى التناقض مع دعوته الاولى ٠

والحق أن كل من قرأ تاريخ الاسلام السياسي والحربي

يعرف مدى ما في هذا الكلام من كذب وافتراء وكذلك من قرأ سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلم يرد الينا من طريق صحيح ولا سقيم ان البواعث الشهوانية هي التي حركت جيوش المسلمين لفتح البلاد ، والرسول نفسه لم يكن متصرفا من تلقاء نفسه في أي شيء يتعلق بالدين ، سلما كان ذلك أو حربا ، وكل تصرفاته كانت مستمدة من الوحي ، وكيف يستأمن على الوحي من تتحول الاهداف لديه عن معناها الانساني الى معنى شهواني ؟

اليس في هذا أكبر خيانة على ما استؤمن عليه ؟ ثم أن كتب السير والمغازي تحمل بين جنباتها ما كان يدور بين الفاتحين والامم المفتوحة ، سواء أكان ذلك في حياة الرسول أم بعد انتقاله الى الرفيق الاعلى فلم يكن السيف هو لغة التخاطب بين القوم كما يدعى هذا الكاتب ، وانما كانت الكلمة الهادية الراشدة مقدمة على تجهيز الجيوش كما أثبت التاريخ أن كثيرا من البلاد التي دخلت الاسلام فعل أهلها ذلك عندما سمعوا عن سماحة الاسلام وعدل المسلمين، ومن لم يذعن للدين الجديد فعليه الجزية اعترافا بما لهذا الدين السمح من قوامه في نظير ما يتمتع به من أمن واستقرار في ظله .

بعض الاعتراف

والمنصفون من مؤرخي الغرب يعترفون بالمنهج الذي استعمله المسلمون في الفتح ، ويرون فيه من الناحية الانسانية ما لم يروه في سواه ويرجعون سرعة انتشار الاسلام في هذه المدة القصيرة من الزمن الى ما كان يحمله هذا الدين من مبادىء انسانية ، فلم تكن الحرب فيه غاية لذاتها ، وانما كانت وسيلة لغاية أكبر منها هي الانقياد لكلمة الله والاذعان لامره . ولولا هذا لما استطاعوا أن يحققوا هذا النصر السريع في تلك الحقبة القصيرة ، فكأن الاسلام قد غزا القلوب بمبادئه قبل أن تطأ جيوشه الارض التي يراد فتحها .

وحسب المنصف أن يقف عند هذين التعبيرين وهما « جهاد » و « فتح » ليدرك الدلالة الحقيقية من ورائهما ويقارن بينهما وبين مصطلحين حديثين هما : « حرب » و « استعمار » ليدرك أيضا الحقيقة من ورائهما .

ولقد غفل هذا الكاتب عن حقيقة هامة ، أو بتعبير أدق : تغافل عنها لان تعصبه الديني حجبه عن أن يدركها أو يعترف بها ، وهي أن الاسلام دين عالمي وليس دينا محليا ، ومعنى عالميته أن يحتوي البعدين الزماني والمكاني، وهذا بالضرورة يقتضي أن تنشر مبادئه على الناس كافة ليسعد بها من شقوا في ظل طغيان الارض ، على يد من نصبوا أنفسهم آلهة من دون الله ، ونسوق للقارىء الكريم هذه الحادثة ليدرك بنفسه مدى ما آلت اليه أوضاع العقيدة في الامبراطورية الفارسية حيث أصبح للاكاسرة من الهيبة والرهبة ما يتضاءل معه الخوف من يوم الوعيد، عن أبي عثمان النهدي قال :

لما جاء المغيرة بن شعبة الى القنطرة فعبرها الى أهل فارس أجلسوه واستأذنوا ورستم في اجازته ، ولم يغيروا شيئا من شاراتهم لتهاونهم ، فأقبل المغيرة بن شعبة والقوم في زيهم عليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب ، وبسطهم على غلوة ، ولا يصل الى صاحبهم حتى يمشي عليها غلوة، وأقبل المغيرة وله أربع ضفائر يمشي حتى جلس معه على سريره ووسادته فوثبوا عليه وأنزلوه فقال :

كانت تبلغنا عنكم الاحلام، ولا أرى قوما أسفه منكم، انا معشر العرب سواء ، لا يستعبد بعضنا بعضا الا أن يكون محاربا لصاحبه ، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى ، وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض .. اليوم علمت أن أمركم مضمحل وانكم مغلوبون ، وان ملكا لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول .

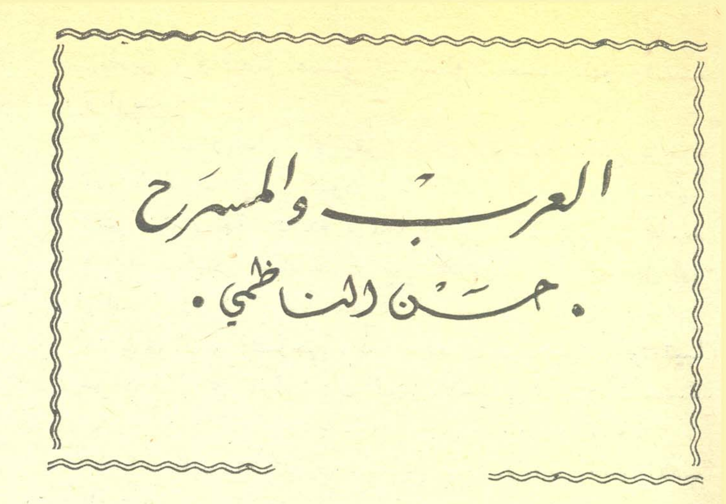
وليس هذا الا سببا واحدا من الاسباب الكثيرة التي اقتضت اتصال السماء بالارض لتبليغ آخر رسالة من رسالات الله ، التي لا تجيء الا عند الحاجة القصوى . واذن فأي شهوة تلك التي يدعى هذا الكاتب كذبا وبهتانا انها سيطرت على نفس محمد صلى الله عليه وسلم فجعلت منه غازيا يعمل لدنياه ؟ وأي دليل معه على صدق هذه الدعوى أكثر من صدورها عن نفس تنظر الى الاسلام وكتابه ورسوله بمنظار قاتم .

ولكنا لا نعذره لانه يزعم أنه اتخذ المنهج العلمي سلاحا في الدفاع عن آرائه وأفكاره .

وبعد :

فهذه وقفة مع هذا الكتاب في قسم من أقسام كتابه، بل في فكرتين اثنتين من هذا القسم والكتاب كله طافح بالاكاذيب والافتراءات . أردنا أن نكشف عورته في جانب من جوانبه حتى يدرك المثقفون منا ممن استولى عليهم الفكر الغربي أن هذا غثاء لا نفع فيه لقوم اتحفتهم السماء بكتاب هو النور الحق ورسول هو السراج المنير ورسالة هي التي جاءت لتفتح قلوبا غلفا وآذانا صما ، وليسعد بها كل من انضم الى لوائها . وفي كتابها ورسولها الحق كل الحق ، ولن ينال منهما من يحاول التطاول عليهما ، حتى لو اجتمع أهل الباطل على قلب رجل واحد ، ولن يتجاوز شأنهم مع الاسلام وكتابه ورسوله شأن الوعل الذي أراد تفتيت الصخرة الصلدة ، فكان عاقبة أمره خسرا :

كناطح صخرة يوما ليوهنها
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل



العرب والمسرح

حسن الناظمي

المسرح ظاهرة حضارية ، تحتل مكانة بارزة في حياة الشعوب المتحضرة ، لكونه مركزا فكريا وفنيا تجري عليه الاحداث البشرية • والمسرح عمل فني (مركب) يضم بين جوانحه أعمالا فنية عديدة ، كالهندسة والموسيقى والمناظر والاضاءة والازياء • الى جانب مجموعة الممثلين والفنيين الذين يتفاعلون مع تلك الاختصاصات عن طريق (الكلمة والحركة) • اذن ، فهو عالم صغير (مكثف) يعرض أمامنا الشخوص والازمان والاحداث والصراعات، وبعبارة أوضح هو عمل (جماعي)تعرض على ساحتـه مختلف ضروب الفنون التي تتميز بفاعلية الحركة •

والمسرحية لغة مخاطبة مباشرة ، لا تحتمل القوالب الادبية (الجامدة) • بل تعتمد على ما تشعه الكلمة في النفس من معان وقيم أخلاقية تعكسها المحاكاة • والمحاكاة كما يذكرها أرسطو في كتابه فن الشعر هي : الغريزة الـوحيدة التي تميز الانسان عن الحيوان • ومن المحاكاة استطاع الانسان أن يتعلم ، ومنها أيضا يحصل على المتعة والتطهير عن طريق (الصورة) التي ينقلها الحوار الى الذهن • وما تحويه هذه الصورة من تزاويق جميلة أو بشعة تبعث في النفس عنصر التشويق والتتبع ، وملاحقة الاحداث •

كان المسرح الاغريقي القديم يحتوي على نصوص تعتمد على أسلوب الصياغة المنمقة والامثال والحكمـة وبلاغة الكلمة • الا أن تطور المسرح ونزوله الى طبقات المجتمع والحياة الدنيا ، اضافة الى هبوب رياح الافكـار (الانسانية) أخذ يعتمد على الموضوع والتكنيك ، اضافة الى القضايا الاجتماعية الملحة التي تنشد الخلاص مـن أوزار العقليات الجامدة من خلال العرض المسرحي •

ان التراجيديا نتجت عن عبادة باكوس اله الخمـر المعروف باسم ديونيسوس • التي كانت تقام له حفلات دينية في كل ربيع يتخللها الرقص والغناء ، وكان هذا الرقص والغناء في بادىء الامر مرتجلا ، وبمرور الزمن تم تنسيق هذه الحفلات • وعلى هذا النحو انتقل الامـر من مرحلة السرد الى مرحلة الحوار والحركة • وهنـاك ولدت التمثيلية ، ووجدت التراجيديا ، وظهرت الجوقة عند الاغريق ، ومن الجوقة خلق فن التمثيل •

لقد مر المسرح منذ بدايته حتى يومنا هذا ولايزال يمر بتطورات هائلة في مجالاته كافة • كما مر بعشرات وسبات واضطهاد ديني وسياسي وفكري زمنا طويلا • ومن البديهي أن الادب والفن ظاهرة تتسم بالنشاط الوجداني للانسان ، وهذا النشاط الوجداني يتأثر بالطبع بالاوضاع السياسية والاقتصادية والعلمية •

وكنتيجة طبيعية لازدهار الادب والفن تتفاعـل (معطياته وانعكاساته) مع الاتجاهات الاجتماعية السائدة، ومع التيارات التاريخية المتبادلة للتراث الحضاري بـين الشعوب • لذلك فالمناخ السائد في أي بلد يؤثر على انتعاش الادب والفن •• مناخ الحكم •• المناخ السياسي •• المناخ الديني •• المناخ العنصري •• الى غير ذلك من المناخات •

ومن المعلوم أن المسرح لا يمكن أن يتطور الا في مناخ أدبي (مستقر) • وفي جو يتسم (بالحرية الفكرية) ليجد الابداع طريقه الى هذا الفن الانساني • ويعتبر ازدهار المسرح في أي بلد ظاهرة (صحية) لقيمة الانسان الذي يعيش على هذا الكوكب •

والبديهيات تقول : انه لايمكن أن يكون هناك مسرح الا بتوفر أربعة عناصر أساسية للعمل المسرحي هي :

١ ـ النص المسرحي •
٢ ـ مجموعة الممثلين •
٣ ـ المنصة المسرحية •
٤ ـ جمهور يشاهد •

ثم يأتي الديكور والاضاءة والمؤثرات والملابس والمكياج •• الى اخر ذلك من متممات العمل المسرحي •

فهل توفر للعرب كل تلك العناصر •

الجواب ؟ لا • لان انتفاء وجود الفقرة الاولى انتفاء للعمل المسرحي •

لهذا فان نشاط حركة التأليف المسرحي معنـاه (النشاط المسرحي) • وبالنسبة لادبنا العربي نجد أن العرب ترجموا كثيرا من العلوم الانسانية ، الا الملاحم والتراجيديا والاساطير الاغريقية التي كان الادب اليوناني يزخر بها ، ولا سيما وان الملاحم والاساطير تعتبر (أغزر) مادة قصصية تمثيلية للمسرح في العهود القديمة • ولـو توغلنا عميقا بدراسة المسرح العربي ونشاطه لوجدنا أن هناك بذورا هلامية بسيطة (بدائية) يمكن أن نسميها

بداية لنشاطات لها طابع مسرحي ، ومن المعلوم لدينا أن العالم الاسلامي قام بترجمة الكثير من الحضارة اليونانية وفلسفتها ، أمثال : ابن رشد الذي ترجم كتاب (فن الشعر) لارسطو · ونلاحظ أن ابن رشد واجهته صعوبة لغوية عندما وجد نفسه أمام كلمة (الكوميديا) و و (التراجيديا) فقد ترجم كلمة الكوميديا (بالهجاء) ، والتراجيديا (بالمديح) ! وهذا يدل على أن الفكر الاسلامي قد تجاهل أو لم تكن له الرغبة في تفهم المسرحية التي كانت أكبر مدرسة جماهيرية في عهد الاغريق ، حيث لم تكن هناك مدارس منهجية غير المسرح الذي كانت تعرض عليه مسرحيات البطولة والالهة ، والاخلاق والنقد والكوميديا التي تتسم بعنصر المبالغة شكلا وموضوعا ·

كانت أثينا اذن هي المنبع المسرحي ، بل كان المسرح فيها جامعة الشعب ، وهي التي بثت الاشعاع المسرحي الى أكثر أقطار العالم على يد اسخيلوس ، وسوفوكليس ويوربيدس وارسطو فانيس · اما لماذا لم يدخل هذا التأثير المسرحي الى العالم العربي والاسلامي فهناك اراء عديدة تقي هذا الشأن ، رأي يقول :

١ ـ ان المسرح يحتاج الى مناخ مسرحي مستقر ، والعرب كانوا قبائل (رحل) يعيشون عيشة البدواة وعدم الاستقرار ، او الاستيطان وراء الماء والكلأ ، اضافة الى انشغالهم بالحروب والغزوات والفتوحات ·

٢ ـ وراي يقول : ان الدين الاسلامي منع التصوير والتشخيص ، والتماثيل ، وحارب الاوثان والصور التي تصور (الملائكة والسماء) بداعي ان رسم الصورة يعود الى (الخالق العيم) وليس للانسان · وتعقيبا على هذا نجد ان هناك صورا رائعة في مخطوط البيطرة لابن الاحنف ، وكليلة ودمنة لابن المقفع ، وكتاب الكواكب للصوفي وكتاب المادة الطبية لمختار الحكيم عدا مقامات الحريري التي رسمها الواسطي ·

وعلى الرغم مما يشاع عن تحريم الاسلامي او كراهيته للتماثيل ، والصور واللعب (الدمى) لمدلولاتها الوثنية فقد جاء في كتاب (ربيع الابرار) للزمخشري حديث للسيدة عائشة ، حيث قالت : ـ

(قدم رسول الله (ص) من غزوة تبوك وفي سهوتي ستر(ستارة) فهبت الريح وكشفت ناحية الستر عن البنات (عرائس) لي ·فقال : ما هذا ؟ قلت بناتي ، ورای بينهن فرسا له جناحين ·· فقال : وماذا ارى وسطهن ؟ قلت جناحين ·· قال : فرس له جناحان ؟ قلت : اما سمعت ان لسليمان خيلا لها اجنحة ؟ فضحك حتى بدت نواجذه ، وتعقيبا على هذا الحديث فان الاسلام لم يستنكر عمل التماثيل والعرائس ، مادامت لا تستعمل في امور العبادة والدين ، واقتصر على استعمالها بقصد اللهو واللعب والزينة ·

٣ ـ وهناك رأي يقول : ان الاسلام منع ترجمة الادب اليوناني ، كون هذا الادب ينطوي على اساطير وخرافات وآلهة متعددة ، مما يعتبرها الاسلام (دعائم وثنية) تشغل المسلم عن امر الدين ، وان التمثيل لهو والقصة لهو فلا يجوز للمسلم ان يلهو او يلغو · (راجع كتاب في الادب المسرحي ، د · محمد كامل حسين) وتعقيبا على هذا الرأي نقول : فأن الدين الاسلامي لم يتحدث مطلقا عن التمثيل ولما لم يتحدث عنه فهو لم يحرمه لاسيما وان الاسلام ظهر في القرن السابع للميلاد ولم يكن الادب التمثيلي معروفاً عند العرب قبل الاسلام فمن الطبيعي الا يتحدث عنه رجال الدين وهو لم يكن معروفا في الاصل في بداية الامر ·

ولقد ورد في كتاب (العرب والمسرح) صفحة ١١ مايلي (ولا يقوم الاسلام عقبة في سبيل قيام الفنون ، ولا يحرم ترجمة الكتب حتى الوثنية منها ، والدليل على ذلك فأن الاسلام سمح بترجمة كثير من الاثار التي انتجها وثنيون مثل : كليلة ودمنة من اللغة الفهلوية ، وكتاب الشاهنامة للفردوسي الذي نقله البندراوي عن الفرس في عهدهم الوثني ، وكتاب فن الشعر لارسطو ، وهو كتاب يقوم على تصوير الشخصيات بالمحاكاة) ·

ويذكر توفيق الحكيم في مقدمة مسرحية اوديب فيقول :ـ لماذا غاب التمثيل عن الحضارة العربية ولم يعرف ؟ في حين كان للعرب ايضا عهدهم الوثني ، فلماذا لم يقتبسوا او ينقلوا هذا الفن الى ديارهم ؟ ثم يورد : اذا كان المسرح يحتاج الى استقرار وحياة اجتماعية موحدة مكتملة ، ولم يعرف العرب ذلك في بدايتهم باعتبار انهم غير مستقرين فقد حل الاستقرار محل التنقل · وتطورت القبيلة من مجتمعها البدائي الى (ألامه) وظهرت التشريعات والقوانين، واحتكت الامم بالحروب والفتوحات وكان من نتائجها:تناقل الحضارات و (امتزاجها) واصاب الادب والشعر روح التطور والتجديد · ثم ظهر الادب المسرحي في اوربا وضم في ساحته مختلف الفنون ، ومن ابرز عهود الاستقرار والازدهار هو عهد الدوله الاموية ، والدوله العباسية وما بعد · تلك المدينة (المستقرة) وذلك المجتمع الموحد (المكتمل) ومع ذلك فان العرب انصرفوا عن تشييد المسرح وهم على ذلك قادرون بينما راينا العرب في عهدهم الاسلامي قد مروا بالفتوحات ، وبالحضارات المختلفة فاقتبسوا فن العمارة ، ثم تبلور هذا الفن وحمل طابعا عربيا متميزا به ·

اذن فلماذا لم يعرف العرب والاسلام المسرح؟ ولم ينشأ الفن المسرحي في عهدهم الاول ؟ سؤال سيبقى ماثلا الى ان يجد الجواب الشافي ·

فوق الماء

جي ده موباسان

ترجمة الأستاذ يوسف دوماني

ذهبت في الصيف الماضي الى الريف واستأجرت بيتا متواضعا في قرية تبعد بضعة أميال عن باريس وحرصت على ان يكون قرب ضفاف نهر «السين» وبت آوي اليه كل مساء .

لم يمض على وجودي زمن طويل حتى تعرفت على رجل من جيرتي يتروح عمره بين الثلاثين والاربعين وما لبث أن وجدت فيه أغرب رجل ممن عرفت .

لقد كان قائدا لزورق نهري منذ نعومة أظفاره وبداية حياته العملية ... وأحب عمله حبا جما ولذلك تراه لايفارق الماء ... حتى ان الباحث عنه مهما عمل وتنقل لن يجده الاقرب المياه أو فوقها أو فيها . لابد من انه ولد في زورق ولسوف يقضي أيامه الاخيره في زورق أيضا .

وفي ليلة من ليالي نزهاتنا المتكررة على شوطىء نهر « السين » طلبت اليه أن يقص علي شيئا من حياته المائية . ولم يكد يسمع طلبتي حتى ظهرت عليه بشائر الحيوية والنشاط وتبدلت صفحة وجهه حسيا وانطلق لسانه فصاحة حتى خيل الي أنه شاعر من الشعراء الذين أحبوا النهر حبا غريبا أحاله الزمن الى ولع ... الى شهوة ضارية لاتقاوم ، وأضاف قائلا :

يا لذكريات هذا النهر الكثيرة ! انك تراه يجري تحت أقدامك .. ولكنكم .. أنتم معشر سكان الاحياء لا تعرفون عنه الشيء الكثير ولن تعرفوا ما لم تنصتوا الى عبارات صياد متمرس ...

أما هذا الاخير فانه يرى في النهر شيئا غامضا ، شيئا سريا ، عميقا وغريبا ... انه موطن السراب والاشباح ... اذ يرى المرء فيه « ليلا » أشياء لا وجود لها ويسمع أصواتا لا يعرف لها مصدرا ... فترتعد فرائصه هلعا دون أن يعرف الدافع الى هذا الخوف الرهيب ومصدره الحقيقي ، انه خوف يشبه خوف من يجتاز مقبرة ... ولنقل الحقيقة ... انه أعظم شؤما من شؤم المقابر ... بل هو المقبرة الوحيدة التي لا رموس فيها !

ان الارض ، بنظر صياد ، محدودة . وأما النهر فهو في أثناء الظلمة وبعد غياب ضياء القمر واسع جدا حتى انك تراه بعيد الاغوار ، لا تضبطه ضفاف ... فالبحار الذي يركب البحر لايشعر بما يشعر به راكب الانهار ولئن كان جبارا ويقهر الامواج المخيفة ... أما البحر فأمين وصادق في كل ما يعمل وأما النهر فخداع بصمته ، غدار بهدوئه وعدم ثورته ... نعم . انه لايثور بل ينساب دائما وأبدا بهدوء ، لا ضجة له ولا صخب ، وانسيابه الابدي هذا هو الذي يبعث في قلبي الهلع والرعب أكثر بكثير من أمواج المحيط العاتية ، الصاخبة .

قد يحلم بعض الناس فيفترضون ان البحر يخبىء في أعماقه بلادا واسعة بكاملها ... بلادا زرقاء ... المسرح الكبير الذي فيه يختلط الغرقى بالاسماك الكبيرة في وسط غابات وهمية غريبة قائمة في الاعماق بالاضافة الى

مغاور وكهوف من البلور ... ! فما هذا الحلم بشيء **بالنسبة الى أعماق النهر القاتمة . بل السوداء ... وفي** ضحالة وحله المستقر في أسفل مهده تتفسخ الاجسام المختلفة ... وبرغم ما يبتلع من ضحايا فهو باق على الدوام ، النهر الجميل ، الجميل ببريق أنوار الشمس المشرقة فوق سطحه وانعكاساتها وتكسرها ! انه جميل حقا وعلى الاخص عندما يهدر مارا بين القصب بكل تؤدة ورفق .

لقد سبق للشاعر أن قال في المحيط :

كم من قصة محزنة تعرفين .... يا أمواج
يا عميقة ، عمق محبة الامهات ....الراكعات
يستمعن اليك في المد والجزر .... في كل أمر
أنت أنت ياأمواج . تصنعين .... صوت الحزين
في الامسيات.عندما الينا تعودين.... بلاحنين

لن أذيع سرا اذا قلت ، حسب ملتي واعتقادي ، ان القصص التي يهمسها القصب الرقيق ، بصوته العذب وفي **الظلام ، عبر انسياب المياه ، لهي أكثر شؤما من الفواجع** المحزنة التي تحكيها الامواج المزمجرة....لكنك يا صاحبي قد طلبت الي بعضا منذكرياتي ... ولذلك أراني مدفوعا لاقص عليك مغامرة من أبسط مغامراتي الطارئة في خلال حياتي العملية ومنذ عشر سنوات خلت .

كنت يومئذ أقطن دار السيدة « لافون » وعلى بعد ميلين من مسكني يقيم صديق لي صدوق يدعى السيد « لويس برنت » ... ما أكثر ما رافقته في حله وترحاله حتى كفر بعمله النهري ... ليذهب الى مجلس الدولة في قرية (س) حيث جدد طبيعة عمله ... بعد أن عشنا سوية مدة طويلة لا نفارق بعضنا بعضا حتى في أوقات الطعام فان لم أكن عنده فهو عندي .

وفي ليلة متعبة ، بينما كنت أعود بزورقي الكبير الذي صنعه أربابه بطول احدى عشرة قدما ، بمفردي ، وهو زورقي الليلي المفضل الذي اعتدت استخدامه ، وقفت به على مائتي مترا من الجسر الذي يمر فوقه القطار، وقفت قرب القصب كي أستريح من وعثاء الطريق ، وفي حمى طقس لطيف يبعث على البهجة والسرور ، لما لاشعة القمر المنعكسة من على سطح المياه المنسابة من اشعاعات جميلة وبريق باهت بديع وشاعري أضف الى ذلك لطف الهواء وبرودته المقبولة وقفت هنا مدفوعا باغراء المشاهد الجميلة **من حولي وبدأت أدخن غليوني ... فطربت ومن ثم ألقيت** بالمرساة الى القعر فتسمر الزورق ...

جلست في المؤخرة بكل ارتياح وهدوء ولم اسمع شيئا من على يميني أو يساري ما خلا حفيفا خلته آت من جدار النهر تلطمه المياه ... وانعمت نظري في القصب الطويل الرؤوس ولئن كان بعيدا عني ... فان هذا البعد يوهم الناظر اليه أنه يرى أشباحا مختلفة تتحرك من حين الى حين .

كان النهر ساعتئذ هادئا تماما ومع هدوئه شعرت بميل الى الكآبة والتأثر من هذا السكون الرهيب الغريب القائم من حولي . وشعرت بل لمست أن جميع الحيوانات قد صمتت وحتى الضفادع قد أبطأت نقيقها في المستنقعات غير البعيدة .... ولكني ما لبثت أن سمعت فجأة نقيق ضفدع متمرد على بني جلدته في قربي فارتعشت أوصالي ولكن هذا التمرد لم يدم طويلا ... لقد عاد الضفدع صامتا كما سبق وكان ، وعدت الى غليوني ألهو ، وما أن سحبت منه نفسين لا ثالث لهما شعرت بالدوار وتوقفت عن التدخين لادمدم أغنية مهشمة ... لكن صوتي المتعب قد أزعجني فتوقفت عن الدمدمة واضطجعت في أسفل الزورق طلبا للراحة وبدأت أرقب نجوم الليل مدة غير قصيرة وبقيت على هذه الحال أنعم بالهدوء المؤقت . لكن زورقي قد اهتز بحركة غير اعتيادية وبدأ القلق يتسرب الى قلبي وأحسست بشعور غريب يتسلل الى داخلي قد زاد في قلقي واضطرابي حتى خيل الي أن مخلوقا عجيبا يسحب به نحو الاعماق أو ان قوة غير منظورة تشد به الى أسفل تارة وتتركه تارة أخرى ... وان هذه القوة العجيبة لا تود سوى أذاي.... وهذه العملية تشبه تمام الشبه القارب المتخبط في منتصف العاصفة ... وعندئذ سمعت حركة من حولي فانتفضت واقفا ولكنني لم أشاهد شيئا ذا حركة انما شعرت بالهدوء المطبق الذي عاد يخيم من جديد فتوترت أعصابي وعزمت على الرحيل .

شددت السلسلة الحديدية التي تحمل المرساة فاهتز لحركتي قاربي وشعرت بمقاومة من أسفل وما أن أعدت الشد على السلسلة بعزم وحزم حتى عاودت المقاومة سيرتها

الاولى ولم أتمكن من رفع المرساة وقلت لنفسي من انها قد علقت بجسم ما في أسفل المهد لا حول لي ولا قوة على مقاومته بمفردي . أخذت المجذافين وعملت بهما بكل ما أوتيت من قوة حتى تغير اتجاه القارب ولكني لم أستطع زحزحة المرساة وذهبت محاولاتي أدراج الرياح ، فغضبت وقمت مرة تلو المرة أشد وظلت المرساة حرونا ولم تستجب الى مختلف جهودي المبذولة . وعندئذ بدأ اليأس يدب في أحشائي ويسيل مع دمي في عروقي وقواي تتلاشى شيئا فشيئا . جلست أفكر . أفكر في مخرج من هذا المأزق الحرج وقلت لنفسي ليس أمامي سوى أن أكسر حلقة من السلسلة فأتخلص من ورطتي واخلي سبيل الزورق ... ولكن أنى لي ذلك والحلقة التي أود كسرها قد سمرت تسميرا حسنا في القارب والادوات اللازمة ليست بحوزتي ؟

عدت الى التفكير مرة أخرى وقلت : الطقس جميل ولا بد من أمل في أن يمر بي أحد الصيادين ان عاجلا أو آجلا وعندئذ أتخلص بمعونته من خطبي . فهدأ روعي وانسلت الى قلبي نعمة الصبر . سحبت غليوني من محفظته وعدت الى التدخين واحتسيت بعض أقداح من زجاجة «روم» كانت بحوزتي وبدأت أضحك هازئا من هذا الموقف الحرج الشاذ ... لكن الحرارة بدأت تخنقني ولم أعد أطيق وجودي على هذه الحال حتى الصباح . وهل أمامي غير الانصياع ؟

وفجأة شعرت بشيءيلامس قاربي فانتفضت مرتعشا ...لم يتعد هذا الشيء أن يكون سوى خشبة طافية أصابت جدار قاربي ، فتصبب العرق البارد من كياني وتكهرب جوّي وعادت أعصابي الى ثورتها من جديد فقمت الى السلسلة أعاود الشد عليها حتى تقلصت عضلاتي وأنهكت قواي من جديد ..وفي وجودي على هذه الحال المؤلمة بدأ الضباب يخيم على المنطقة بكاملها حتى حجب عني رؤية ماء النهر المنساب من تحتي ومنعني من رؤية قاربي ويدي ورجليّ وما أن رفعت ناظري الى العلاء حتى شاهدت نور القمر من بعيد ... باهتا ... ورأيت رؤوس شجر القصب الطويل التي تتلوها مجموعة من اشجار الحور الايطالي المتشامخة ولا شيء سواها ما عدا وجودي كالمكفّن تسيطر التخيلات والاوهام على رأسي لدرجة جعلتني أفكّر من ان جسما ما قد يزحف نحوي من حيث لا أدري من هذه الاعماق ليتسلل الى قاربي الذي ما زال محجوبا عن نظري أو ان النهر الذي غطاه الضباب الكثيف يحوي حيوانات غريبة قد تسبح للوصول الي .. فبدأت بالانحراف في التفكير والغوص في بحر التشويش البغيض واستولى علي الرعب وصرت أشعر بضغط وآلام في الصدغين وبتسرع في القلب الذي كادت ضرباته المتلاحقة تخنقني ... وطار صوابي حتى فكرت في أن ألقي بنفسي الى الماء أملا في اكتساب احدى الضفتين سباحة وهذه الفكرة التي احتلت تفكيري مدة حسبتها غير قصيرة جعلتني أرتجف هلعا وقد تصورت نفسي ضائعا في خضم هذا الضباب الكثيف الذي ما فتىء يحجب عني أي شيء أوعالقا في أصول شجر القصب المنتشر في كل مكان وخيل الي اني أتخبط للتخلص من الحشائش الملتفة حولي لتلقي بي صريعا في الاعماق البغيضة السود من الظلمة وشعرت وكأن قدمي تشدان الى أسفل وتضاعف خوفي ... وقلت ...لنفرض جدلا اني تمكنت من وجود سبيل ونشاط لاجتياز الخمسمائة مترا سباحة كي أصل الى شاطيء النجاة ، ضد التيار ، ولكن .. أني لي ان ارى الطريق المستقيمة في هذه الظلمة ؟ واذا ما اقدمت او اخطأت انتهى بي الامر حتما الى الوهن فالغرق مهما كنت أحسن فن السباحة .

جلست مرة أخرى في الزورق وبدأت أتعقل واذ بالهدوء يعود الى أعصابي ..وزال الخوف ... وشعرت بان خصلة حميدة قد انتقلت الي بالاضافة الى ارادتي التي أفتخر بقوتها ومتانتها في الكوارث ... الا ان هذه الارادة الفولاذية قد خذلتني هذه المرة لانها تهيبت الموقف وصرت أسائل نفسي : مم تخاف ؟ فكان جواب نفسي الشجاعة ان قرعت نفسي الجبانة ومنذئذ حتى يومنا هذا والصراع قائم في ذاتي بين الكامنين في داخلي .. فالاول يريد شيئا والأخر يقاومه ... فتارة هذا يفوز وتارة يتغلب عليه الآخر ... يتسلط احدهما على الآخر بالتواتر وحسب تحليل الامور .

أمسى خوفي الوحشي هذا رهبة لم أستطع مقاومتها . تجمدت حيث أنا مفتوح العينين والاذنين على أمل حدوث أمر ما ... فماذا يكون ؟ لست أدري !

ولقد يجيء في غير صالحي ... حاملاً معه الخوف ، وصرت أفكر في أن سقوط سمكة صغيرة مدعاة لايقاف حركه قلبي وانيهار اعصابي ... وبقيت على حالي الحزين هذا مدة قصيرة حسبتها دهرا ... وما عتّم أن عاد الي رشدي

وصوابي فسحبت زجاجة الروم واخذت منها جرعة كبيرة ونهضت لفوري أصرخ بشدة نحو الجهات الاربع على التوالي حتى شل حلقي من الصراخ وما هي الا هنيهة حتى ركنت الى هدوئي فسمعت نباح كلب ··· من بعيد ·

شربت مرة أخرى واضطجعت على طولي في أسفل زورقي لمدة ساعة ··· أو ساعتين ··· لست ادري لم أنم ولم تغمض جفوني لحظة لان كابوسا كان يجثم فوق صدري وفي يقظتي وكان يمنعني من النهوض مع ان رغبتي في القيام ملحاحة ··· وصرت ارجىء نهوضي دقيقة تلو دقيقة برغم الامر الذي كان يأتيني من ذاتي قائلا لي : هيا بك·· قم !

لم اتجاسر على القيام لخوفي من المجهول ·· من أية حركة قد تصدر عني ·· وأخيرا انتصبت واقفا بكل تؤدة لاعتقادي بان حياتي متوقفة على صدور أية حركة ··· عني ··· ينبعث منهاصوت ما ··· يزيد في ألمي وحيرتي· فنظرت الى فوق ··· الى ما بعد الافق · أفق المركب وأنعمت النظر في الفضاء اللامتناهي وسبحت في لجة التفكير التفكير الذي كادت أبوابه أن تغلق مصاريعها ··فشاهدت ماأروع ما شاهدت ! شاهدت عجائب مذهلة · انها الاشباح المضيئة التي تحكى عنها الاقاصيص الخرافية ···الاشباح والخيالات اتي يراها المسافرون الأتون من بعيد والعائدون الى البلاد ··· من بعيد بعيد ··· فيروونها علينا ونتلدد بسماعها دون تصديق حرف منها ·

وأما الضباب الذي كان مخيما منذ ما يقرب من ساعتين بدأ يباد أو ينسحب رويدا رويدا ليستقر على الشاطئين تاركا النهر حرا طليقا بعد سيطرته المريرة عليه ولم ينسحب الاليشكل في مكانه الجديد تلالا مترامية الاطراف يقدر ارتفاعها بستة أو سبعة أمتار ··· وهذه التلال البيضاء المختلفة الاشكال لامعة كالثلج المنهمر تحت ضياء القمر ···لم أعد أرى سوى النهر والاشباح ···والتلال البيضاء ··· وهناك في الافق البعيد رأيت القمر ينشر أشعته الفضية في سماء لونها مزيج من الزرقة والبياض

وبهذه الساعة بالذات استيقظت الحيوانات المائية والبرية على السواء وبدأت الضفادع تنق بغضب وشدة لاعهد لي بها ··· واما الضفادع الترابية ذات النقيق المحزن الرتيب فقد اشتركت مع اخواتها على كهربة الجو ··· فيا لعجبي! لم أعد أخاف من شيء ··· انى لي ذلك ؟ فهذا ما قد حصل فعلا ··· وبت أرقب المناظر الخلابة بكل شغف ولم تعد للحوادث الغريبة التي سمعت بها في حياتي أية دهشة وزال طعمها امام ما أشاهد واسمع ولم أزل أتمتع بهذه الخوارق حتى نمت منهوكا ، فاقد الوعي · وعندما فتحت عيني كان القمر قد غاب والسماء قد امتلأت بالغيوم ··· والريح تعصف والمياه تهدر واشتد البرد والظلام معا ·

قمت الى الزجاجة أحتسي ما تبقى فيها تحت تأثير حفيف القصب وهدير المياه الرتيب المؤلم وحاولت أن أرى فلم أتمكن حتى من مشاهدة زورقي حتى ولا يدي مهما قربتها من ناظري ·

وما لبث الظلام أن بدأ يتبدد رويدا رويدا ·· وشعرت بوجود شبح بقربي ·· أو أنه كذلك · فصرخت وجاءني الرد ··· لقد كان أحد الصيادين فرجوته أن يقترب أكثر فأكثر من قاربي ففعل حتى تلامسا ··· بدأت أقص عليه حكايتي من ألفها الى يائها ·· وبدأت المساعدة الفعلية المنتظرة ··· واستعنا على شد السلسلة العاصية فلم نتمكن من زحزحة المرساة الحرون حتى انبلاج الصباح القاتم ، الممطر ، والشديدة البرودة ··· كان يوما فريدا من أيام التعاسة والنحس ···

وبينما نحن على هذه الحال اقترب مني صياد آخر ليمد يد المساعدة الينا ··· فضفرنا قوانا وشددنا ··· بدأت المرساة تتجاوب وتتحرك قليلا قليلا وترتفع نحونا ببطء لانها كانت عالقة بثقل عجيب أو بالاحرى عالق هو بها ··· وأخيرا وصلت المرساة والكتلة السوداء ··· وما أن رفعناها وانزلناها في الزورق حتى وجدنا جثة لعجوز مربوط في عنقها حجر رزين ·

من روائع الأدب العالمي

صيد السمك في نهر أولجي

• بايك هاك ريم •

كان الرفيق (كيم ايل سونغ) يحب الذهاب لصيد السمك حتى خلال الكفاح المسلح ضد اليابانيين · ولقد رأيته يصطاد السمك لأول مرة عندما كنت أعمل خلال الخريف من عام ١٩٣٩ في الغابة الكبرى المشرفة على نهر (اولجي) · وهذا النهر يسيل في مقاطعة (آنتو) في شمال شرق الصين ·

كانت هنالك كتيبة من الحرس ، وكنا من عدادها مع نفر من العناصر الاداريين · وكنا نعد العدة للشتاء فنصنع الملابس الدافئة وما الى ذلك للكتائب جميعا · وقد نقلنا الملابس كلها الى الوحدات بسرعة البرق · وكان قد سمح لشقيق أحد الملاكين ويدعى (ريو تونغ سا)بأن يعود الى أهله بعد ان أسرناه وهو يجبي الضرائب ·

واستدعاني الرفيق (كيم ايل سونغ) في صباح أحد الايام باكرا وطلب مني ان أجلب له بعض الابر . ودفعني الفضول الى معرفة ماالذي كان يريد ان يخيطه ، فسألته : (ماذا تريد ان تفعل ، ياسيدي القائد ؟ ان باستطاعتي ان ساعدك) . فجابني وهو يستعجلني : كلا ، يكفينني أن تحضرها لي) . وأحضرت عدة ابر كما امرت ، ولكن لاستعمال أجهله . فغلفها بالقطن ، وأشعل عود ثقاب وأحرقه واحترق القطن وتأججت الابر ، وفقدت صلابتها عندما بردت ، وأسندها الواحدة تلو الاخرى على الخشب وفتح ثقوبها بشكل (٧) ، ثم ثناها بمهارة وأعاد لها صلابتها . فأدهشتني براعته في صنع صنانير السمك .

واستكملت الا ستعدادات ، فطلب مني ان ارافقه وذهبنا الى شاطىء النهر . كان هواء الغابة – في بداية الخريف هذه – رقيقا لطيفا ، وكانت المياه صافية كالماس ، نسيل في مجرى كنا نراه عبر غشاوة خفيفة من الضباب . واستقر الرفيق (كيم ايل سونغ) فوق صخرة في وسط النهر تقريبا وبدء يصطاد السمك .

واذا به يصيح متعجبا فرحا : ما هذا؟ يا لها من لقطة! بديعة ! وكان السمك يرد اليه فأمسك بعد دوافر بسرعة بسرعة فائقة . أما أنا فلم تعض المطعم من صنارتي أي سمكة ، بينما كانت صنارتي أي سمكة ، بينما كانت صنارتي قريبة جدا من صنارته . واغتظت في سري اذ رأيته يخرج السمك تباعا بينما لا أحظى بواحدة منها . وتخيلت ان ذلك راجع الى سوء انتقاء المكان . ورحت أتنقل وأغير موقعي مرة تلو المرة باحثا عن مركز ملائم وأجد نفسي قد عدت الى جواره في النهاية دون ان تعض صنارتي أي سمكة . وكنت ألقي بصنارتي الى الماء عبثا بيأس وبسخط بالغ .

وأدرك مشاعري ، فابتسم وقال : (... ان في تصيد السمك فن . وذلك بمعرفة مزاج السمك وطباعه وخلقه ، ويتم تصيده تبعا لذلك . وكما يقول المثل : (يعرف القائد الفالح عدوه معرفته بنفسه) ويمكن التغلب على العدو بمجرد توفر المعلومات الدقيقة عن قوته العددية وتسليحه وأساليبه وخططه ، ومعرفته بمواقع قوته مثل نقاط ضعفه ، وبتقييم القائد قوته هو نفسه تقييما صحيحا دقيقا . ويمكن ان يقال في الصيد القول نفسه . فلن تستطيع تصيد السمك ما لم تتعرف على مزاجه وطباعه والاماكن التي يسبح فيها بمجموعات وتعرف أين يختبىء وماذا يحب ان يأكل) . وأوضح لي بأنني لا أعرف شيئا عن طباع السمك ، وحدثني مفصلا عن طبيعته وعن الطريقة الواجب اتباعها في تصيده .

ونصحني بأن أرمي بصنارتي الى حافة ضفة النهر ضمن التيار وبين الحجارة او الصخور .

وما أن نفذت ما قاله لي حتى بدأ السمك يعض . وجن جنوني فرحا اذ رحت أخرج السمك الواحدة تلو الاخرى دون ان يضيع وقت . وبدت لي العملية شيقة سارة . فقلت له بنهجة الخبير العارف بمسرات تصيد السمك الحقيقية : (لقد أدركت الآن لماذا تحب صيد السمك ، ذلك لانك تجده مسليا ، أليس كذلك ؟ ..) فأجابني الرفيق (كيم ايل سونغ) باسما : (... يبدو لي أنك قد أدركت مسرات صيد السمك ، ولكنني أحب الصيد ليس فقط سعيا وراء اللذة في التقاط السمك ، لا شك في آن بتصيد السمك متعة ، الا أن هنالك شيئا اخر يتم أثناء الصيد شيق ممتع . فيستطيع شاعر مثلا ان ينظم الشعر وهو يرمي صنارته الى الماء ، او مخترع فبامكانه ان يحل مسألة كان يسعى اليها منذ حين وهو يقبض بيده على عصا صنارته . وهذه امور تقدر بمثل قيمة صيد السمك نفسه . ومثل هؤلاء الاشخاص يشعرون بسرور أعمق من مجرد التسلية بتصيد السمك . فاذا ما رميت صنارتك وحاولت ان تفكر بما يشغل بالك من القضايا ويتنكد عليك ، فسوف تكتشف ان ايجاد الحل لها بالغ السهولة) .

فخجلت اذ لم أحسن فهم مشاعره الداخلية وغرقت في أفكاري مدة من الزمن . وخلافا لما كنت اعتقد بأنه كان يروح عن نفسه عندما يذهب الى الصيد ، فلقد كان الرفيق القائد ، في الحقيقة ، يفكر بالثورة تفكيرا جديا . وعندما أدركت ذلك كنت الاحظ بأنه كان مستغرقا في تفكير عميق وهو يتأمل سطح ذلك الماء الذي غطست فيه صنارته . والتفت الي وقال : (.. ربما كان شقيق . ريو تونغ سا) لم يصل الى هناك بعد ، أليس كذلك ؟ .. وقبل ان يكون لدي الوقت لان افتح فمي للاجابة ، تابع كلامه كما لو أنه كان يجيب نفسه الى سؤاله :(عندما يتلقى الامبرياليون اليابانيون شكوا ، فسوف يكون هنالك قلق بل واضطراب حقيقي) . ولما سمعت ذلك أدركت انه كان يفكر في رد فعل الامبرياليين اليابانيين عند عودة شقيق (ريو تونغ سا) اليهم بعد أن أسرناه وهو يجبي الضرائب .

وبينما كان جالسا وصنارته غاطسة في الماء ، فقد كان يعد خطة لعملية : ماذا يمكن ان يكون رد فعل العدو؟ كم سوف يجند من الرجال ؟ ومتى تصل القطعات؟ كيف يمكن ايقاف تقدمهم ؟ وكيف يجب ان يهاجمهم ؟ فلقد كان الرفيق القائد يصطاد ومثل هذه الافكار تجول في خاطره . ثم ما لبث ان توقف عن الصيد ونهض وقال : (اننا ذاهبون) . وفي المساء تناول الرفيق (كيم ايل سونغ

والانصار بارتياح بالغ عشاء وفيرا من السمك · وأقمنا بعدئذ حفلة صغيرة أمضينا فيها وقتا ممتعا ·

كان يتصرف وكأنه لا يتصور ان العدو كان في ذلك في ذلك الوقت يهب للهجوم علينا · ولكنني عندما أمعنت في التدقيق في تصرفاته استنتجت بأنه قد انتهى من وضع خطة بارعة محكمة نضجت في نفسه وأنه كان قد أصبح جاهزا لان ينزل بالعدو ضربة قاسية ·

وفي صباح اليوم التالي وقع ما كنت قد توقعت ، فقد أمر الرفيق (كيم ايل سونغ) الانصار بازالة المعسكر وتنفيذ الاوامر فقد نظف المكان تنظيفا تاما ولم تترك حتى قطعة صغيرة من الورق او عصيبة واحدة · وغادرنا متوجهين نحو (سان تاوكو) في مقاطعة (آن تو) ·

وبعد مغادرة الانصار بقليل اجتاح مئات من الجنود اليابانيين معسكر نهر (اولجي) ، الا انهم التقوا بفشل ذريع وصبوا غضبهم على المباني ، وكان سكانها قد هجروها خشية بطشهم وفظائعهم ، فأحرقوها وانسحبوا · وهنا أيضا كن الرفيق (كيم ايل سونغ) كعادته لا يفتأ يفكر بمواضيع تعبوية وبخطط حربية وهو يصطاد ·

والان وقد أدرك الانصار اسلوبه في العمل فقد أصبحوا يسرون دائما عندما يرون أنه ذاهب الى الصيد اذ يتوقعون ظهور مخطط محكم في النتيجة · وقد حدثني رفيق قال : (ان الرفيق كيم ايل سونغ) قد فعل نفس الشيء بعد مؤتمر (هسي آوها يربالينغ) الذي انعقد في شهر آب من السنة التالية ١٩٤٠ ، فور وصوله الى مجرى نهر (ميا او لينغ) ، ولم يكن الرفيق (كيم ايل سونغ) في تلك الفترة يقود سوى كتيبة الحرس · وعندما كشف العدو حتى أمر الرفيق القائد بقوله : (الان ، انصبوا عليها بغتة ، فاضطر الرفاق من عناصر الكتيبة للقيام بهجوم مفاجيء لحمايته وابعاد الاعداء · ولكن الموقف كان حرجا حيث أن وحدات العدو قدهبت للنجدة وتوالت الواحدة بعد الاخرى وحاصرتنا ، فلم يعد لدينا عندئذ وقت يكفي للتفكير بالصيد ·

ولكن ذلك لم يمنع الرفيق (كيم ايل سونغ) من أن يعطى الامر بالتوقف للاستراحة فور بلوغه شاطىء النهر وذهب الى صيد السمك ومعه الرفيقان (دجون مون سوب) و (ري اول سول) · فحار الانصار بادىء الامر ولكنهم سرعان ما ارتاحوا وقالوا فيما بينهم : (ما دام الرفيق القائد ذاهب الى الصيد فلا شك في أن الخطر قد زال) واستقروا يستريحون ، وسرعان ما استسلموا لنوم عميق ·

ويبدو ان الرفيق (كيم ايل سونغ) قد توقع ذلك وقدر حاجتهم للنوم فذهب ليصطاد · لقد أمضى الانصار وقتا طويلا بلا نوم منذ ان شنوا ذلك الهجوم المباغت ، وكان صعبا عليهم ان يستسلموا للنوم وهم قلة حتى عندما كانوا يتلقون الامر بالتوقف للاستراحة · وما ان بدد النوم تعبهم حتى عاد الرفيق (كيم ايل سونغ) من النهر · وأمرهم بالمسير بقوله : (الآن وقد حصلتم على قسط من الراحة ، فلنتابع مسيرنا) وذهبوا ·

وما ان قطعنا مسافة عشر ري (الري ؟ يساوي ٣٩٢٧ ميترا في النظام الميتري) حتى أمر بالتوقف من جديد · فسأل الانصار عما اذا كان عليهم أن ينصبوا الخيام ، ولكنه أمرهم بأن يستريحوا بين الصخور منبها بقوله : « وما حاجتكم بالخيام ؟ يبدو لي أننا سوف ننعم بالبرودة هناك في العالي ، في ظل تلك الصخور ، فيحسن بكم ان ترتاحوا فيه وتضيعوا على العدو أثرنا ببراعة) · وكانت مقابل الطريق صخور تنتصب هنا وهناك مكونة ملجأ ملائما يستحيل كشفه من الطريق · وما هي الا دقائق حتى كان مئات من جنود العدو ينطلقون على الطريق ليتعقبونا ، ولكنهم مروا بالقرب منا دون أن يلاحظوا لوجودنا أثرا · وقال الرفاق ممن رووا لنا القصة وهم يغمزون الى ضابط العدو منهك القوى وكان يدفع رجاله لملاحقة الانصار بسرعة لانهم كانوا قد قطعوا مسافة ثلاثين (ري) ·

وأدرك الانصار عندئذ ان تلك الخطة قد نضجت في تفكير الرفيق القائد (كيم ايل سونغ) لتضليل العدو وهو يصطاد بهدوء بينما كان الخطر محدقا يهددهم · فلقد قرر ان يسوق العدو الذي يطاردنا الى طريق خطأ ، وبحث أثناء المسير عن ملجأ ملائم الى أن اهتدى الى تلك الصخور الضخمة ليخفي رجاله بينها عن أعين الاعداء ·

كان ذلك يبدو للوهلة الاولى اقرب ما يكون الى المغامرة ، ولكن كلما تعمق المرء في التفكير كلما أعجب بخطته البارعة الرائعة · ومهما بلغ اليابانيون الفجار الطغاة من المهارة والشطارة فقد كانوا بعيدين عن تصور ان الانصار كانوا مختبئين الى جانب الطريق على بعد بضعة كيلو ميترات من العدو ليرتاحوا ·

كان الرفيق (كيم ايل سونغ) يجد خطة بارعة كهذه بقدرته على تقدير قوة العدو العسكرية تقديرا دقيقا ، وتقدير المسافة الفاصلة بين الانصار والاعداء الذين يتعقبونه ، وما يلزمهم من زمن لقطع تلك المسافة ، وما الى ذلك ، وكان أيضا يحسب حسابا لرد فعل العدو وقد أدهشته الحيرة وأذهله الخزي فارتبك وخجل · وما أن مر العدو ذلك ، جند عددا كبيرا من جنوده لالقاء القبض خيامكم) · ونصبت الخيام وارتاح الانصار بهدوء قبل أن يستأنفوا مسيرتهم ·



نافذة على العالم

■ « أديب اسحق » كتاب من تأليف الاستاذ عيسى فتوح ، صدر بمساعدة اتحاد الكتاب العرب في دمشق ، درس فيه حياة الاديب الراحل ، الذي يعتبر بحق أحد رواد النهضة القومية والادبية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر · تناول المؤلف ، بالتحليل ، اثار هذا العبقري الادبية والشعرية والصحفية ، وكشف القناع عن كثير من الشؤون التي أوشك الزمن أن يسدل عليها ستارا كثيفا من النسيان · كتب الاستاذ نديم عدي مقدمة هذا الكتاب ·

■ « الفكر الاخلاقي عند ابن خلدون » كتاب صدر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع في الجزائر ، تناول فيه مؤلفه الدكتور عبد الله شريط : نظريات ابن خلدون في الاخلاق بالنقد والتحليل ، الى جانب ارائه في الاجتماع والقضايا التي عرضها المؤرخ العربي الكبير في مقدمته الشهيره ·

■ حقق الاستاذ عبد الله أحمد أبو زينه ، رسالة « أيها الولد المحب » للامام أبي حامد الغزالي ، ونشرتها دار الشرق ، وهي تعبر عن فهم عميق ، من خلال التصور الاسلامي لما ينبغي أن تكون عليه الانسانية بالنسبة للانسان المسلم ، وترسم له الطريق ليمارس حياته · والرسالة في جوهرها ، تعيد المرء الى أفكار الامام الغزالي التي تضمنها الباب الاول من « احياء العلوم » التي تتعلق بالعلم وفضله وضرورته ، وهي في شكلها ردود الغزالي على تساؤلات تلميذ درس كثيرا من العلوم في صباه ، وأراد أن يعلم أيا منها ينفعه ويؤنسه ·

■ يبذل نادي جدة الادبي نشاطا ملحوظا للاسهام في الحركة الادبية ، وفي مجال استعداده للتعاون البناء بين أدباء العربية ، زاره العلامة اللغوي والبحاثة الاستاذ روكس بن زائد العزيزي ممثل الرابطة الدولية لحقوق الانسان في القطر الاردني الشقيق ، ومؤلف « فريسة أبي ماضي » و « وطنية خالدة » و « أزاهير الصحراء » وغيرها ·

وزاره أيضا الاديب الشاعر الاستاذ العوضي الوكيل ، وكيل وزارة الادارة والتنظيم في جمهورية مصر العربية ، ومؤلف الجزء الثالث من كتاب « الديوان » الذي الف جزئيه الاول والثاني ، الاديبان الكبيران الراحلان : العقاد والمازني ، ونشراه في عام ١٩٢١ ، ويعتبر هذا الجزء امتدادا لرسالة الاديبين الكبيرين ·

وزاره أيضا الحبيب شيبوب التونسي ، أحد كبار رجال وزارة التربية في الجمهورية التونسية ، وهو أديب وشاعر ومنتج اذاعي ·

انضم الادباء الثلاثة الكبار الى نادي جدة الادبي ، أعضاء شرف ، وقد اقيمت لهم حفلة سمر في مقر النادي ، حضرها نخبة من الادباء ورؤساء وأعضاء النوادي الادبية في السعودية ، منهم الدكتور عبد الله مناع رئيس تحرير مجلة « اقرأ » والاستاذ محمد علي السنوسي شاعر الجنوب ، والاستاذ حمدان صدقة سكرتير جمعية الفنون ، والشاعر المصري حسن اسماعيل أحمد ·

■ صدرت الترجمة العربية لموسوعة « دليل الخليج » في قطر على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ·

صدرت هذه الموسوعة القيمة منذ سبعين عاما باللغة الانكليزية · اشترك في وضعها عدة باحثين انكليز باشراف « ج · لوريمير » لتكون مرجعا لمعتمدي وموظفي الحكومة البريطانية ·

الترجمة العربية تقع في ١٤ جزءا ، تضم حوالي سبعة الاف صفحة ، خصصت سبعة أجزاء منها لتاريخ الخليج والسبعة الاخرى لجغرافيته · ويحتوي الدليل على ثلاثة أنواع من المعلومات ، هي :

١ ـ معلومات تتصل بالسياسة والاستراتيجية في الخليج خلال القرن الماضي ومطلع القرن العشرين ·

٢ ـ معلومات تتعلق بالاوضاع السياسية داخل كل قطر خليجي ، وعلاقته بالبلدان المجاورة ، والجدير بالذكر أن هذه الموسوعة تعتبر العراق والسعودية وايران من الدول الخليجية ·

٣ ـ معلومات عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي تاريخيا في دول الخليج ·

هذه الموسوعة مصدر هام للدراسات الجادة الهادفة عن واقع الخليج العربي ، تاريخيا وجغرافيا وسياسيا واجتماعيا ·